البديع
بين المتقدمين والمتأخرين

بقلم
د. إبراهيم عبد الحميد السيد التلب
أستاذ البلاغة والنقد
بكلية اللغة العربية بالقاهرة

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث
٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

التلب ، إبراهيم عبد الحميد السيد البديع بين المتقدمين والمتأخرين بقلم / إبراهيم عبد الحميد التلب . ـ ط01 ـ القاهرة : المكتبة الأزهرية للتراث ، 2006
ص ؛ 24 سم
تدمك * 131 - 315 - 977
1- البلاغة العربية - البديع
أ- العنوان

414.5

19220 - 2006 م

دار الطباعة المحمدية
٣ درب الأتراك بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـــد :

فقد عرف القدماء البلاغة قولا مؤثراً يستقر أثره فى أعماق النفس ، فيبعث على الارتياح والاطمئنان ، قبل أن يعرفوها علماً له أصوله وقواعده وحدوده ورسومه ، فكانوا يطربون للقول البليغ ويعجبون بروعته وحلاوته ولا يعرفون علة لذلك إلا تجاوب الطبع وميل النفس ، وذلك هو الاستحسان الفطرى الذى يعتمد على الذوق المهذب .

وكان الشعراء يسلكون مسالك الخيال من تشبيهات صائبة واستعارات بارعة وكنايات لطيفة ، وطباق وجناس وغير ذلك من فنون القول دون أن يعرفوا هذا المصطلح أو ذاك ، فهم يمارسون البلاغة فنا لا علما ، فى غير تكلف ولا استكراه .

ثم تنبه الشعراء المحدثون إلى مواطن الحسن من ذلك الشعر القديم فتعلقت به نفوسهم وازدادوا شغفاً به حتى أصبح مذهباً من مذاهب التعبير فى العصر العباسى إنه « البديع » الذى شاع فى شعر بشار والعتابى ومسلم وأبى نواس وأبى تمام وقد سلم لهم حيناً فجاء على حظ من الجمال والروعة وتأبى عليهم حينا آخر فجاء مستكرها ممقوتاً .

وكان البديع آنذاك يطلق على كل ما فيه طرافة وحسن وروعة من فنون البلاغة .

ومعنى ذلك أن الحديث عن « البديع » يقتضى الحديث عن كل ألوان البلاغة التى شاعت فى تلك الحقبة المتقدمة ، فهى تنضوى تحت لواء البديع فى هذه المرحلة ، حتى تتغير الأحوال فى المرحلة الثانية ، فيصبح البديع محصوراً فى المحسنات اللفظية والمعنوية ، وتتضاءل مكانته وتذهب نضارته ويصوح نبته عند المتأخرين .

وهذه الدراسة تضطلع بإبراز هاتين المرحلتين ، وتتبع المصطلح فى كل منهما وبيان ما يدخل فى نطاقه من ألقاب ومصطلحات لتلك الفنون التى تتفرع عنه ، وهى فنون تتفاوت قدراً كما تتفاوت عدداً من عصر إلى آخر ، فقد ظل العلماء يزيدون فى ألوان البديع ويتنافسون فى اختراع الجديد وإضافة المزيد ، حتى زادت على التسعين عند ابن أبى الإصبع ، بل وصلت إلى مائة وأربعين عند أصحاب البديعيات .

ولكن هذه الكثرة فيها كثير من التكلف ، خصوصاً إذا علمنا أن معظم هذه الأنواع يرتد إلى بعضه ، وتلتقى مجموعة منها فى نوع واحد ، لكنه الشغف بالتوليد والاستكثار منها ، حتى أصبح البديع صناعة يتسابق فى مضمارها الأدباء ، ومقياساً من أهم المقاييس التى يحتكم إليها النقاد ، ويقيسون بها الأدب فى تلك العصور .

وقد جاءت هذه الدراسة على النحو التالى :

مقدمة : فى بيان موضوع البحث وأهميته .

الفصل الأول : البديع فى القرن الثانى والقرن الثالث الهجرى .

الفصل الثانى : البديع فى القرن الرابع الهجرى .

الفصل الثالث : البديع فى القرن الخامس الهجرى .

الفصل الرابع : البديع عند المتأخرين .

خاتمـــة .

وإذا كان مدلول « البديع » لم يتغير فى الفصول الثلاثة الأولى حيث ظل عاماً يشمل كل ما يدخل فى نطاق كلمة « بلاغة » ، إلا أن فنونه قـــد تغيرت فى عددها قلة وكثرة ، كما ازداد مفهوم بعضها عمقاً واتساعا على مر العصور ، وهذا شىء مألوف فى تطور الأشياء عصراً بعد آخر ، تمشياً مع سنة الحياة فى التطور والارتقاء .

أما الفصل الأخير فهو يمثل حال البديع عند متأخرى البلاغيين من مدرسة السكاكى ومن تابعه كالخطيب القزوينى ، حيث صار البديع تابعاً لعلمى المعانى والبيان ، كما انقسم أيضا إلى : بديع لفظى وبديع معنوى أو إلى محسنات لفظية ومحسنات معنوية ، وصار الحسن فيه عرضيا بعد أن كان ذاتيا عند السابقين فالبون شاسع ، والفرق كبير بين هاتين المرحلتين ، ففى الأولى عدل وإنصاف وفى الثانية ظلم وإجحاف ، ولا أدل على ذلك من أن السكاكى نفسه قد ذكر الالتفات والإيجاز والاطناب فى علم المعانى ثم ذكرها مرة أخرى فى علم البديع على أنها من توابع البلاغة ، كما أنهم جعلوا الاعتراض والاحتراس والتتميم والتذيل والإيغال من باب « الإطناب » فى علم المعانى ، وهى من صميم البديع عند المتقدمين .

وبعد فهذا جهـــد المقل فى دراسة حال « البديع » بين المتقدمين والمتأخرين ، فإن كنت قد وفقت فلله الفضل والمنة ، وإن كانت الأخرى فحسبى أنى ما ادخرت وسعا والكمال لله وحده ، هو حسبى ونعم الوكيل .

دكتور

إبراهيم عبد الحميد السيد التلب

الفصل الأول

« البديع فى القرنين الثانى والثالث الهجريين »

البديع فى أشعار القدماء والمحدثين :

تدور كلمة « البديع » فى اللغة حول معنى الجدة والطرافة والاختراع على غير مثال سبق .

فقد جاء فى لسان العرب : « بدع الشىء يبدعه بدعا ، وابتدعه : أنشأه وبدأه وبدع الركية : استنبطها وأحدثها . والبديع والبدع : الشىء الذى يكون أولا ، وفى التنزيل : « قل ما كنت بدعا من الرسل » أى ما كنت أول من أرسل ..... والبديع : المحدث العجيب وأبدعت الشىء اخترعته لا على مثال ، والبديع من أسماء الله تعالى ، لإبداعه وإحداثه إياها ، وهو البديع الأول قبل كل شىء ، ويجوز أن يكون بمعنى مبدع ، أو يكون من بدع الخلق بدأه ، والله تعالى — كما قال — : « بديع السماوات والأرض » أى خالقهما ومبدعهما ، فهو سبحانه الخالق المخترع لا عن مثال سابق . . فبديع فعيل بمعنى فاعل مثل قدير بمعنى قادر ، وهو صفة من صفات الله تعالى ، لأنه بدأ الخلق على ما أراد على غير مثال تقدمه ... وسقاء بديع : جديد ، وكذلك زمام بديع ، وأنشد ابن الأعرابى فى السقاء :

ينضحن ماء البدن المسرى
نضح البديع الصفق المصفرا

وحبل بديع : جديد أيضاً ، والبديع : المبتدِع والمبتدَع ، وأبدع

الشاعر : جاء بالبديع »[1] هذا هو معنى كلمة « البديع » فى اللغة . فماذا عن مدلوله فى عرف البلاغيين ؟

إن المعنى اللغوى أعم من المعنى الاصطلاحى ، ولكن المناسبة بينهما واضحة جلية « فمن شأن الجديد أو المحدث العجيب أو المخترع أن يكون ذا حسن وبهجة وطرافة وروعة وبهاء ورواء ، ولذة ومتاع »[2] . وهذا مانجده فى كل قول بديع شعرا كان أو نثرا .

فهذه الألوان التى تعارف البلاغيون على تسميتها — فيما بعد — بالبديع تزيد الكلام حسنا وجمالا ، وتكسوه رونقا وبهاء ، وتخلع عليه ثوب القبول ، ولهذا أثره الذى لايخفى فى أداء المعانى وإيصالها إلى النفس فى أحسن صورة من اللفظ . حيث يقتضى المقام ذلك .

فهذه الفنون إذا جاءت عفو الخاطر ، وانسابت على اللسان بلا تكليف ولا افتعال سكنت النفس إليها وارتاحت لها . فأمتعت القلب وأثلجت الصدر بمالها من تأثير خلاب .

وسنمضى مع هذا المصطلح فى مسيرته نشأة وتطورا وارتقاء ، منذ بدأ عاما فى دلالته بمعنى الطريف المستحسن من القول ، حتى صار علما من علوم البلاغة الثلاثة هو علم البديع الذى يبحث فى وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال . ووضوح الدلالة . وذلك للوقوف على ماطرأ على معناه من تغير جنح باللفظ من العموم إلى الخصوص ، خلال هذه المراحل الزمنية المتعاقبة من نهاية القرن الثانى وبداية القرن الثالث الهجريين حتى استقر الدرس البلاغى على التقسيم المعروف إلى المعانى والبيان والبديع عند متأخرى البلاغيين .

---

(١) العرب (بدع) .

(٢) الصبغ البديعى ص ١٤ .

وقد عرف القدماء هذه الأنواع البلاغية فأوردوها فى أشعارهم عفو الخاطر من غير قصد إليها ولا تكلف لها ، فقد كانوا يأتون بالقول البليغ ولا يعرفون علته ، وكانوا يطربون للشعر ولا يتوخون مذاهب نقده. فهم ينطقون بوحى السلائق ويقولون بإلهام الفطرة ، ويستجيبون لدواعى القلب وجيشان الشعور . وهم لم يكونوا أصحاب ثقافة أو صنعة بل كان الطبع فيهم جياشا قويا ، وكانت عباراتهم ترجمة أمينة لخواطرهم . وتعبيراً صادقاً عن خلجات قلوبهم .

ومن يتصفح أشعار العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام يجدها زاخرة بفنون القول وألوان البلاغة من تشبيه واستعارة وكناية وطباق وجناس ومقابلة وسجع ومبالغة مقبولة وتجريد ومشاكلة واستطراد وتورية وإرصاد وتفريع ولف ونشر وغير ذلك من فنون القول التى انطلقت بها الألسنة عفو الخاطر مطبوعة من غير أن يعرفوا لها أسماء أو يطلقوا عليها هذه المصطلحات التى عرفت بعد ذلك .

ثم جاء المحدثون فترسموا آثار القدماء فى المعانى والأغراض ، وتطلعوا إلى التجديد فى الصياغة ، وتزيين كلامهم بأبهى حلل البيان ، وتوشيته بأروع أصباغ الحسن ولذلك فإنهم رجعوا إلى الشعر القديم ، ونقبوا فى نصوصه عن هذه الألوان التى تجعل الشعر رائعاً جميلا ، فوشحوا أشعارهم بها ، وأكثروا منها حتى صارت سمة مميزة لأشعارهم . وفى ذلك يقول القاضى الجرجانى : « فلما أفضى الشعر إلى المحدثين ، ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن ، وتميزها عن أخواتها فى فى الرشاقة واللطف تكلفوا الاحتذاء عليها ، فسموه « البديع » فمن محسن ومسىء ومحمود ومذموم ومقتصد ومفرط »[1] .

---

(١) الوساطة ص ٣٨ .

وأول من سماه « البديع » هو مسلم بن الوليد . يقول ابن قتيبة : « هو أول من ألطف في المعاني ورقق في القول » [١] ويقول صاحب الأغاني: « وهو — فيما زعموا — أول من قال الشعر المعروف بالبديع . وهو لقب هذا الجنس البديع واللطيف . وتبعه فيه جماعة وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي ، فإنه جعل شعره كله مذهباً واحداً فيه ، ومسلم كان متفنناً متصرفاً في شعره » [٢] وقد تابعه في هذا الرأي صاحب معاهد التنصيص [٣] .

وإذا كنا نتفق مع الأصفهاني على أن مسلم بن الوليد هو أول من لقب هذا الجنس من الكلام بالبديع ، فإننا لا نوافقه على أنه أول من قال البديع من الشعراء ، والحق أنه أول من وسع البديع ؛ لأن بشار بن برد أول من جاء به من المحدثين ثم جاء مسلم فأكثر منه في شعره ، ثم جاء أبو تمام فأفرط فيه وتجاوز المقدار .

وقد شهد الجاحظ لبشار بحسن البديع حيث قال : « وكان العتابي يحتذي حذو بشار في البديع . ولم يكن في المولدين أصوب بديعاً من بشار وابن هرمة » [٤] .

وعبد الله بن المعتز — وهو شاعر ناقد — يقول في مقدمة « البديع » : « قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن الكريم واللغة وأحاديث رسول الله ﷺ وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون « البديع » ليعلم أن بشاراً ومسلماً وأبا نواس ومن تقيلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ، ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم

---

(١) الشعر والشعراء ٢ / ٨٣٦ (٢) الأغاني ١٧/٣٨

(٣) معاهد التنصيص ٣/٥٥ (٤) البيان والتبيين ١/٥٩

فأعرب عنه ودل عليه »[1] وأخذ الآمدى برأى ابن المعتز فقال : سلك أبو تمام سبيل مسلم واحتذى حذوه ، وأفرط وأسرف ، وزال عن النهج المعروف والسنن المألوف . وعلى أن مسلماً أيضاً غير مبتدع لهذا المذهب ولا هو أول فيه ، ولكنه رأى هذه الأنواع التى وقع عليها إسم البديع . وهى الاستعارة والطباق والتجنيس منثورة متفرقة فى أشعار المتقدمين فقصدها وأكثر فى شعره منها ، وهى فى كتاب الله عزوجل موجودة ، فتبع مسلم بن الوليد هذه الأنواع واعتدها ، ووشح شعره بها . . . »[2] .

ومعنى ذلك أن بشار بن برد هو زعيم مذهب « البديع » فى عصر المحدثين ، فقد استحلى مذاقه ، ووجه إليه أنظار الشعراء والكتاب والخطباء ، وأكثر منه فى شعره . ولهذا رأينا الأصمعى يفضل بشاراً على مروان بن أبى حفصة . ويقول فى تعليل ذلك : « إن مروان سلك طريقاً كثر من يسلكه فلم يلحق من تقدمه وشركه فيه من كان فى عصره ، وبشار سلك طريقاً لم يسلك وأحسن فيه وتفرد به . وهو أكثر تصرفاً وفنون شعر ، وأغزر وأوسع بديعاً »[3] ولعل الأصمعى أول ناقد يفضل شاعراً على غيره لما فى شعره من البديع .

وخلاصة القول : أن البديع قد تردد فى كلام القدماء ، ولكنه كان قليلا مطبوعا لا تكلف فيه ، لأنهم لم يقصدوا إليه قصداً ، بل ورد على ألسنتهم بقوة الطبع وجودة السليقة أما المحدثون فقد قصدوا إلى البديع قصداً . ويمموا وجوههم شطر هذه الألوان ، ووجهوا اهتمامهم إليها ، على أن المحدثين لم يحدثوا البديع إحداثا ، ولم يبتكروه ابتكاراً بل هم

---

(١) البديع ص ١ ط لندن (٢) الموازنة ص ٦ .

(٣) فحولة الشعراء ص ٥١ والموشح ص ٢٩٢ .

مقلدون للقدماء، وكل مالهم هو الإكثار من هذه الأصباغ، وإطلاق اسم «البديع» عليها مع اختلاف ما بينهم فى مقدار عنايتهم بهذه الصنعة، فاختلفت أساليبهم فى النظم تبعاً لذلك، أما زعيم هذه الحلبة فى عصر المحدثين فهو بشار بن برد، ومن رجاله ابن هرمة والعتابى ومنصور النمرى وأبو نواس ومسلم بن الوليد وأبو تمام ... ولكنهم ليسوا سواء فى هذه الصنعة من حيث الإقلال والاكثار، والتسهيل والتوعير والطابع والاتجاه، (١) فقد أسرف أبو تمام فى استخدام ألوان البديع من طباق وجناس وتقسيم واستعارة مع التكلف الظاهر الذى انتهى به إلى الاستكراه والتعقيد فى كثير من الأحيان، وتلك عقبى الإفراط، وثمرة الإسراف.

وإذا كان هذا هو حال البديع لدى الشعراء فى الإبداع الشعرى، بين محسن ومسىء ومقتصد ومفرط، فقد كان قولا يقال، ولم يكن قاعدة تدرس، وكان طريقاً يحتذى، وتدرك آثاره بالذوق، قبل أن تدرك ماهيته بالعقل. وإذا كان الأمر كذلك، فإننا بحاجة إلى أن نتتبع مسيرة «البديع» فى كنف العلماء، وهو بهذا المعنى العام الذى يرادف البلاغة فى تلك المرحلة، حتى نقف على تطور فنونه من بداية «تدوين العلوم» فى نهاية القرن الثانى، وبداية القرن الثالث الهجرى.

• • •

البديع عند الأصمعى ت ٢١٦ هـ :

سلفت الإشارة إلى أن مصطلح «البديع» ورد على لسان الأصمعي، وهو يبين السبب فى تفضيله بشار بن برد على مروان بن أبى حفصة،

---

(١) الصبغ البديعى ص ٦٢

حيث إن بشاراً سلك طريقاً لم يسلكه أحد فانفرد به وأحسن فيه، وهو أكثر تصرفاً وفنون شعر، وأغور وأوسع بديعاً[١].

وأقول مرة أخرى إن كلمة «البديع» آنذاك لم تكن تعنى علم المحسنات البديعية بمعناه الضيق عند متأخرى البلاغيين. بل كانت تطلق على الجديد المخترع، والطريف من ألوان البلاغة عموماً، أى أن البديع فى ذلك الوقت كان مرادفاً للبلاغة، ولذلك فإنهم يذكرون ضمن أنواعه: الاستعارة والتشبيه والكناية والتعريض وغير ذلك مما هو من صميم علم البيان عند المتأخرين، وهذا المعنى هو الشائع على ألسنة الأدباء والنقاد فى إطلاق «البديع» على تلك الفنون التى شاعت وكثر وجودها فى شعر بشار وأبى نواس ومسلم بن الوليد ومن سلك سبيلهم فى مذهب البديع.

وهذه أهم أنواع البديع التى عالجها الأصمعى مبتكراً فى بعضها ومتابعاً فى بعضها الآخر:

١ — الاستعارة: ففى قول امرىء القيس:

وقد أغتدى والطير فى وكناتها
بمنجرد قيد الأوابد هيكل

ذكر أبو عمرو بن العلاء وحماد وأبو عبيدة والأصمعى: أنه أحسن فى هذه اللفظة «قيد الأوابد»، وأنه اتبع فلم يلحق، وذكروه فى باب: «الاستعارة البليغة[٢]».

وفى قول جرير:

لقد مد للقين الرهان فرده عن المجد عرق من قفيرة مقرف

---

(١) الموشح ص ٢٩٢ والأغانى ٣ / ١٤٧.
(٢) إعجاز القرآن للباقلانى ص ٧٠، ٧١

يقول الأصمعى : « المقرف من الدواب : الذى أحد أبويه برذون . وإنما ضربه مثلا ههنا . يريد : إن أحد أبويه ليس بعربى ، والأصل للدواب ، فاستعارة للناس »[1] .

وحديث هؤلاء عن الاستعارة سابق على حديث الجاحظ وابن قتيبة وابن المعتز .

٢ — التشبيه : هو أقدم هذه الطرق وجودا ، وأول مباحث البلاغة ظهورا ، وأكثرها ورودا فى كلام العرب شعرا ونثرا . وقد تحدث الخليل ابن أحمد عن التشبيه فى معجم العين[2] وتحدث عن أداة التشبيه حيث يقول فى مادة (كذا) : « كذا وكذا الكاف فيها للتشبيه »[3] ويرى الخليل فيما يرويه عنه سيبويه أن « كأن » هى « إن » لحقتها الكاف للتشبيه ولكنها صارت مع إن بمنزلة كلمة واحدة[4] .

وهو فى تعليقه على الأبيات الشعرية التى يستشهد بها فى « العين » يحلل ما فيها من تشبيهات بإشارات سريعة إلى الطرفين[5] . وقد يشير أحيانا إلى وجه الشبه فى قول الشاعر :

لما رأى لبد النسور تطيرت رفع القوادم كالعقير الأعزل

يقول : « شبه هـــذا النسر القشعم حين أراد أن يطير بالفرس المعقور المائل »[6] .

---

(١) النقائض لأبى عبيدة ٢/ ٥٨٩ .
(٢) مادة (شبه) و (مثل) و (شكل) .
(٣) معجم « العين » ٥/ ٣٩٨ .
(٤) الكتاب ٣ / ١٥١ .
(٥) معجم العين ٢ / ١٥٣ .
(٦) المصدر السابق ١/١٤٩ .

وفى قول الشاعر يصف السفن :

مواخر فى سماء اليم مقلعة
إذا علوا ظهر موج ثمت انحدروا

يقول الخليل : « شبه السفن العظام بالقلعة ؛ لعظمها وارتفاعها»[١].

وجاء سيبويه ت ١٨٠ هـ فتحدث فى « الكتاب » عن التشبيه حديثا سريعا فهو عنده من باب الاتساع فى الكلام والإيجاز . وتحدث عن أداته فقال : « وكاف الجر التى تجىء للتشبيه . وذلك قولك : أنت كزيد»[٢] وفى موضع آخر يقول : « تقول مررت برجل أسد أبوه . إذا كنت تريد أن تجعله شديدا . ومررت برجل مثل الأسد إذا كنت تشبهه »[٣] ، ولكن حديثه عن التشبيه حديث سطحى يلمس القشور فقط ، فهو ضئيل الأثر .

أما الأصمعى فيرى أن العرب قد توسعت فى التشبيه ، وجعلته معلماً لأفكارها ومستراحا لخواطرها . وأحسن الناس تشبيها عند الأصمعى امرؤ القيس فى قوله :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى

وفى قوله :

كأن عيون الوحش حول خبائنا
وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

وفى قوله :

ولو عن نثا غيره جاءنى وجرح اللسان كجرح اليد

(١) معجم العين ١/١٦٦ .
(٢) الكتاب ٤ / ٢١٧ .
(٣) الكتاب ٢ / ٢٨ ، ٢٩ .

وهو يستحسن تشبيها لامرىء القيس فى قوله :

جمعت رديناً كأن سنانه سنالهب لم يتصل بدخان

يقول الأصمعى : «هذا أشعر بيت فى وصف السنان»[١] . وقد تأثر البلاغيون بعده بقوله فجعلوا هذا البيت شاهداً للتشبيه الغريب النادر لما فيه من تفصيل لطيف[٢] .

والأصمعى يتخذ من التشبيه مقياساً للحكم على الشعر وتفضيل شاعر على آخر ، ولذلك قال فى تفضيل بشار : «ولد بشار أعمى فما نظر إلى الدنيا قط . وكان يشبه الأشياء بعضها ببعض فى شعره ، فيأتى بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله»[٣] .

وينتقد بعض التشبيهات المعيبة لأسباب من بينها عدم الإصابة فى جهة التشبيه .

٣ — الجناس :

عرف الأصمعى الجناس ، وألف كتاباً فى الأجناس كما يذكر عبد الله ابن المعتز فى كتاب البديع ، والأصمعى مسبوق إليه بالخليل بن أحمد ت ١٧٥ هـ الذى يقول : «والجنس لكل ضرب من الناس والطير والعروض والنحو ، فمنه ما تكون الكلمة تجانس أخرى فى تأليف حروفها ومعناها ويشتق منها مثل قول الشاعر :

يوم خلجت على الخليج نفوسهم

---

(١) ديوان المفضليات ص ٢٥٩ .
(٢) أسرار البلاغة ص ١٦٣ ط الخانجى .
(٣) الأغانى ٣ / ١٤٢ .

أو يكون تجانسها فى تأليف الحروف دون المعنى ،مثل قول الشاعر مسلم بن الوليد :

يا صاح إن أخاك الصب مهموم
فارفق به إن لوم العاشق اللوم

فتراه يطلق التجنيس على ما اتحد فى المعنى أو اختلف من غير تفرقة بينهما »[1] .

ولكن الجناس عند المتأخرين مقصور على النوع الثانى ، وهو ما تشابهت فيه الكلمتان لفظا مع اختلاف المعنى . وقد أطلق ثعلب على هذا اللون من البديع اسم « المطابق »[2] .

٤ — الطباق :

وهذا اللون يسمى الطباق والمطابقة والتضاد ، وقد ذكر الأصمعى المطابقة فى الشعر فقال : « المطابقة أصلها وضع الرجل فى موضع اليد فى مشى ذوات الأربع . وأنشد للنابغة الجعدى :

وخيل يطابقن بالدارعين طباق الكلاب يطأن الهراسا

وأحسن بيت قيل لزهير فى ذلك :

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا
ما الليث كذب عن أقرانه صدقا[3]

فالمعنى اللغوى للطباق من قول العرب: طابق البعير فى مشيه إذا وضع

---

(١) العمدة لابن رشيق ٣٣١/١ والصبغ البديعى ص ١٣٣
(٢) قواعد الشعر لثعلب ص ٥٦
(٣) العمده لابن رشيق ٢/ ٦ ، ٧

بجفنه رجله موضع تخف يده بمخالبه قد جمع بين الرجل واليد في موطيء واحد ، والرجل واليد ضدان أو في معنى الضدين ، فرأوا أن الكلام الذي جمع فيه بين الضدين يحسن أن يسمى مطابقا لأن المتكلم به قد طابق فيه بين الضدين ، فالمناسبة واضحة بين المعنى اللغوى والمعنى البلاغى .

وهذا النوع يسميه ثعلب « مجاورة الأضداد »[1] ويسميه قدامة « التكافؤ »[2] وهى تسمية انفرد بها قدامة دون غيره من البلاغيين ، أما الطباق عنده فهو إيراد لفظتين متشابهتين في المبنى مختلفين في المعنى ، أى أنه أطلق الطباق على الجناس الحقيقى ، وجعل الجناس خاصاً بما جاء من الألفاظ على جهة الاشتقاق وحده[3] .

وقد استقر معنى الطباق عند المتأخرين على الجمع بين الضدين ، وهو محسن معنوى يكسو الكلام رونقا وبهاء ، ويقوى المعنى ويؤكده ، فالضد أقرب شيء خطوراً بالبال عند ذكر ضده ، وبضدها تتميز الأشياء .

٥ — الإيغال :

أصل هذه التسمية من قولهم « أوغل في الشيء » إذا أبعد فيه ، وكل داخل في شيء دخول مستعجل فقد أوغل فيه . قال الأصمعى في شرح قول ذى الرمة :

كأن أصوات من إيغالهن بنا
أواخر الميس إنقاض الفراريج

(١) قواعد الشعر ص ٥٣
(٢) نقد الشعر ص ١٤٧ — ١٤٨
(٣) المصدر السابق ص ١٦٢ — ١٦٣

الإيغال: سرعة الدخول في الشيء، يقال: أوغل في الأمر إذا دخل فيه بسرعة. فعلى القول الأول كأن الشاعر أبعد في المبالغة، وذهب فيها كل الذهاب. وعلى القول الثاني كأنه أسرع الدخول في المبالغة بمبادرته هذه القافية(١).

وقد سبق الأصمعي إلى هذا النوع حيث يحكي الحاتمي: «سئل الأصمعي: من أشعر الناس؟ قال: الذي يجعل المعنى الخسيس بلفظه كبيراً، أو يأتي إلى المعنى الكبير فيجعله خسيساً. أو ينقضي كلامه قبـل القافية، فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى. فقيل له: نحو من؟ فقال: نحو الفاتح لأبواب المعاني امرىء القيس في قوله:

كأن عيون الوحش حول خبائنا
وأرحلنا الجـزع الذى لم يثقب

فقد انتهى كلامه عند قوله «الجزع» ثم أفاد بالقافية معنى زائدا فقال «لم يثقب» لأن عيون البقر غير مثقبة. فقوله «لم يثقب» زيادة في تحقيق التشبيه أو إيغال فيه.

وكقول الأعشى:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

فقد تم المثل بقوله: «وأوهى قرنه» فلما احتاج إلى القافية قال «الوعل» فزاد معنى(٢).

---

(١) العمدة ٢ / ٦٠
(٢) العمدة لابن رشيق ٢ / ٥٧

فالإيغال ضرب من المبالغة إلا أنه يختص بالقوافي والمقاطع . وإن كان ابن رشيق يرى أن الإيغال في القافية لا يعدوها[١] . أي أنه محصور في الشعر فقط . وهو يزيد المعنى توكيداً .

٦ — المبالغة :

تنبه الأصمعي إلى هذا اللون قبل ابن المعتز ، فقد قيل للأصمعي : « من أشعر الناس ؟ قال : الذي يجعل المعنى الخسيس بلفظه كبيراً ، أو يأتي إلى المعنى الكبير فيجعله خسيساً . . . »[٢] .

وقد أطلق عليها ابن المعتز اسم « الإفراط في الصفة »[٣] . وأطلق عليها ثعلب « الإفراط في الإغراق »[٤] . وسماها قدامة « المبالغة »[٥] ، وكذلك أبو هلال وابن رشيق[٦] .

والمبالغة شائعة في كلام العرب شعراً ونثراً ، وهي غرض يمكن الوصول إليه من خلال فنون البلاغة وأساليبها فهي موجودة في التشبيه والاستعارة والكناية والإيجاز والإطناب والقصر وتأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه والتجريد بدرجات متفاوتة .

والإيغال فيه معنى المبالغة إلا أن له خاصية ينفرد بها ، فهو يأتي في الفواصل والقوافي .

---

(١) المصدر السابق ٢/٦٠ .
(٢) الصناعتين ص ٣٧٨ .
(٣) البديع ص ٦٥ .
(٤) قواعد الشعر ص ٤٠ .
(٥) نقد الشعر ص ١٤٦ .
(٦) الصناعتين ص ٣٧٨ والعمدة ٥٣ .

ولذلك عالجه أبو هلال فى موضع ، وتحدث عن المبالغة فى موضع آخر ، وعن الغلو فى موضع ثالث .

وتابعه فى هذا الصنيع ابن رشيق ، فكثرت المصطلحات وتعددت الأبواب التى ترجع فى مجموعها إلى باب واحد هو المبالغة على اختلاف درجاتها . حتى جاء الخطيب القزوينى فجعل المبالغة ثلاثة أقسام : التبليغ والإغراق والغلو . فالتبليغ ما كان ممكناً عقلا وعادة . والإغراق : ما كان ممكناً عقلا لا عادة . والغلو : ما كان ممتنعاً عقلا وعادة[1] .

هذه هى المعالم البارزة فى مسيرة مصطلح المبالغة ، أوردتها بإيجاز يفى بالمطلوب .

٧ — الالتفات :

سبق الأصمعى إلى هـذا النوع ، وهو الذى أطلق عليه مصطلح « الالتفات » .

فقد حكى عن إسحاق الموصلى أنه قال : « قال لى الأصمعى : أتعرف التفات جرير ؟

قلت : وما هو ؟ فأنشدنى :

أتنسى إذ تودعنا سليمى ... بعود بشامة سقى البشام !

ثم قال : أما تراه مقبلا على شعره ، إذ التفت إلى البشام فدعا له »[2] .

فالالتفات عند الأصمعى يعنى الانصراف عن معنى يكون فيه المتكلم إلى معنى آخر .

---

(١) الإيضاح للخطيب القزوينى ٤ / ٤٧ .

(٢) الصناعتين ص ٤٠٧ والعمدة ٢ / ٤٦ .

وقد أخذ عنه ابن المعتز هـــذه التسمية ، فذكر الالتفات ضمن « محاسن الكلام ».

وعرفه بقوله : « هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار ، وعن الإخبار إلى المخاطبة ومايشبه ذلك . ومن الالتفات : الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر »[1] .

فالالتفات عنده نوعان : الأول هو المشهور عند البلاغيين . وهو التعبير عن معنى بإحدى الطرق الثلاث : التكلم أو الخطاب أو الغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها . والثانى هو الذى سبق إليه الأصمعى ، وإليه يرجع الفضل فى هذه التسمية التى تناقلها البلاغيون بعده .

٨ — التغليب :

قال الأصمعى : « إذا كان أخوان أو صاحبان ، وكان أحدهما أشهر من الآخر سميا باسم الأشهر . قال الشاعر :

ألا من مبلغ الحرين عنى   مغلغلة وخص بها أبيا

يريد بالحرين : أخوين أحدهما الحر »[2] . وهذا هو التغليب الذى عرفوه بأنه : إعطاء أحد المتصاحبين أو المتشابهين حكم الآخر بجعله موافقاً له فى الهيئة أو المادة ، وهو باب واسع يجرى فى فنون كثيرة .

وقد ذكر الأصمعى من هذا الباب : الأسودان : التمر والماء . وإنما الأسود التمر دون الماء ، وهو الغالب على تمر المدينة ، فأضيف الماء إليه ونعتا جميعا بنعت واحد اتباعاً والعرب تفعل ذلك فى الشيئين

---

(١) البديع ص ٥٨ .
(٢) الحروف لابن السكيت ص ١٠٣ .

يصطحبان يسميان معاً بالاسم الأشهر منهما كما قالوا : القمران لأبي بكر وعمر . والقمران للشمس والقمر[1] . وهم يغلبون الأشهر أو الأخف لفظاً .

ومنه في القرآن الكريم : « وكانت من القانتين »[2] حيث عدت الأنثى من الذكور بحكم التغليب ، وفيه إشعار بأنها بلغت في طاعتها مبلغ أولئك الرجال القانتين حتى عدت منهم : فهذا من تغليب الذكر على الأنثى . وهناك تغليب العاقل على غير العاقل ، والمخاطب على الغائب .

وقد اجتمعا في قوله تعالى : « جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه »[3] فغلب فيه المخاطبون في قوله « جعل لكم » على الغيب في الأنعام . وغلب العقلاء وهم المخاطبون من الناس على الأنعام . بجمع الضمير مراعاة لذلك[4] .

والتغليب كالمشاكلة في البديع ، ففيه ينقل المعنى من لباس إلى لباس ، فهو من البديع بمعناه عند المتأخرين ، وليس من قبيل المجاز المرسل الذي علاقته المجاورة أو من باب عموم المجاز كما ذهب إلى ذلك بعض البلاغيين ، إذ لا علاقة فيه من مجاورة أو غيرها ، لأن علاقة المجاورة تكون بين مدلولي اللفظين لا بين اللفظين[5] . اللهم إلا أن يجعل النقل فيه لأدنى ملابسة فيمكن القول بالمجاز في هذا النوع .

---

(١) الحروف لابن السكيت ص ١٠٦ .
(٢) سورة التحريم ١٢ .
(٣) سورة الشورى ١١ .
(٤) الإيضاح للقزويني ١ / ٢٢٣ .
(٥) بغية الايضاح ١ / ٢٢١ .

٩ — حسن التقسيم :

سبق إليه الأصمعى ، وذلك واضح فى تعليقه على بيت الطرماح :

يبدو وتضمره البـلاد كأنه
سيف على شرف يسل ويغمد

حيث يقول : « قد جمع فى هـذا البيت استعارة لطيفة بقوله : « وتضمره البلاد » ، وتشبيه اثنين بقوله « يبدو وتضمر ، ويسل ويغمد » وجمع حسن التقسيم وصحة المقابلة »[1] . فهذه أول مرة يرد فيها « حسن التقسيم » فيما بين يدى من المصادر .

١٠ — صحة المقابلة :

وهى نوع من الطباق يكون بين معنيين أو أكثر وما يقابلهما ، وقد تحدث الخليل والأصمعى عن الطباق كما أسلفت ، ثم ذكر الأصمعى « صحة المقابلة » فى النص السابق ، وذلك فى تعليقه على بيت الطرماح ابن حكيم معجباً بجمعه بين حسن التقسيم وصحة المقابلة . ولعل هذه أول مرة يرد فيها هذا المصطلح أيضاً .

١١ — حسن الابتداء :

ورد هذا المصطلح على لسان الأصمعى حيث يقول : « لم يبتدىء أحد من الشعراء مرثية أحسن ابتداء من مرثية أوس بن حجر . وهى التى قالها فى رثاء فضالة بن كلدة ومطلعها :

أيتها النفس أجملى جزعاً   إن الذى تحذرين قد وقعا
إن الذى جمع السماحة والنجـدة والحزم والقوى جمعا

(١) فحولة الشعراء ص ٥٨ .

الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا(١)

وقد تأثر ابن قتيبة بالأصمعي في هذا الرأي . فتحدث عن حسن الابتداء وجمال المطلع في هذه القصيدة فقال : « لم يبتدىء أحد مرثية بأحسن من هذا »(٢) . فابتداء الكلام من المواضع التي يجب على المتكلم أن يتأنق فيها ؛ لأن الابتداء هو غرة النص ، وهو أول شيء يقرع السمع ، فإذا جاء حسنا بديعا ومليحا رشيقا كان داعية لاستماع ما بعده والإقبال عليه بوعي وشغف ، وإلا انصرف السامع عنه ولم يعطه اهتماما ؛ ولذلك أوصى البلاغيون والنقاد بضرورة الاهتمام بمبادئ الكلام . وتحدثوا عن حسن الابتداء وجودة المطلع . وأن يكون الابتداء مناسبا لغرض المتكلم فخراً أو نسيبا ، مدحا أو هجاء ، وصفا أو رثاء . وبذلك يجمع إلى عذوبة الألفاظ جودة السبك وصحة المعنى ، فيقع في النفوس موقعا حسنا .

وخلاصة القول أن الأصمعي قد تحدث عن هذه الألوان البديعية حديثا ينم عن وضوح رؤيته ودقة وعيه بمنزلتها في الكلام الفصيح شعراً ونثرا . وهي : التشبيه والاستعارة والجناس والطباق والإيغال والمبالغة والالتفات والتغليب وحسن التقسيم وصحة المقابلة وحسن الابتداء . وهي من ابتكاره كما ذكرت ، فقد سبق إليها ، باستثناء الطباق والجناس فقد سبقه إليهما الخليل بن أحمد في معجم العين . وإن كان حديثه عنهما بالمعنى اللغوي إلا أنه قد ذكر المصطلح ، ففتح الباب للقول فيهما بهذه الإشارات السريعة ، لأن البحث العلمي حلقات يكمل بعضها بعضا من البداية إلى النهاية . وللسابقين فضل السبق وارتياد الطريق . واللاحقين فضل إتمام المسيرة وإكمال البناء .

• • •

---

(١) ذيل كتاب الأمالي والنوادر ص ٣٤ .

(٢) الشعر والشعراء ١ / ٦٥ .

البديع عند الجاحظ :

عرفنا أن مسلم بن الوليد هو أول من أطلق اسم « البديع » وكان يسمى قبله « اللطيف » وقد شاع فى أشعار بشار وأبى نواس ومسلم ومن سلك سبيلهم ، وقد عرضنا لمصطلح البديع عند الأصمعى ، والألوان التى أوردها فى نقده لأشعار العرب ، وهو سابق إلى الكثير من هـــذه المصطلحات على نحو ما ذكرت .

ثم جاء الجاحظ وسلط الضوء على تلك الظاهرة الشعرية ، وأشار إلى العديد من شعراء البديع حيث يقول : « من الخطباء الشعراء من كان يجمع الخطابة والشعر الجيد كالثوم بن عمرو العتابى ، وكنيته أبو عمرو . وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله فى البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين ، كنحو منصور النمرى ومسلم بن الوليد الأنصارى وأشباههما . وكان العتابى يحتذى حذو بشار فى البديع ، ولم يكن فى المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هرمة »[١] . وهو يرى أن البديع مقصور على لغة العرب ، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ، وأربت على كل لسان .

وعلى الرغم من أن الرواة أطلقوا اسم البديع على الطريف المستحدث من ألوان البلاغة من تشبيه واستعارة وجناس وما أشبه ذلك من صور التفنن فى الأداء أى أنه مرادف للبلاغة فى ذلك الوقت . إلا أن بعض الباحثين يرى أن الجاحظ كان يعنى بالبديع الاستعارة المكنية فقط ، وهو يطلق عليها لفظ « المثل » . والمثل عنده هو البديع[٢] .

---

(١) البيان والتبيين ١/٥١ .

(٢) الفنون البلاغية فى بيان أبى عثمان الدكتور على العمارى ص ١٩٧

وأرى في هذا الرأي تطبيقاً للتوسع ، فربما يكون إطلاق البديع على المثل من قبيل التمثيل فقط أو على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ، فليس البديع مقصوراً على المثل فحسب ، وهذه أهم أنواع البديع التي عرض لها الجاحظ :

١ — الاستعارة :

وهو مسبوق إلى هذا المصطلح ، فقد سبق إليه أبو عمرو بن العلاء والأصمعي وأبو عبيدة. ولكن الذي يحسب للجاحظ أنه عرف الاستعارة لأول مرة في قول الشاعر :

يادار قد غيرها بلاها كأنما بقلم محاها
أخربها عمران من بناها وكر ممساها على مغناها
وطفقت سحابة تغشاها تبكي على عراصها عيناها

يقول الجاحظ : « وعيناها هنا السحاب . جعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه »(١) .

وهو يشير إلى الاستعارة التصريحية بلفظ « المثل » فيقول : « ومما يضربون به المثل بالحيات في دواهي الأمور . كقول الأقيبل القيني :

لقد علمت وخير القول أنفعه
أن انطلاقي إلى الحجاج تغرير
لئن ذهبت إلى الحجاج يقتلني إني لأحمق من تحدى به العير
مستحقباً صحفاً تدمى طوابعها
وفي الصحائف حيات مناكير(٢)

---

(١) البيان والتبيين ١/١٥٢ ، ١٥٣
(٢) الحيوان ٤/٢٥٣

ومعنى كلام الجاحظ هنا أن لفظ «حيات» في البيت الثالث مثل في «دواهي الأمور» وهي استعارة تصريحية أصلية باصطلاح المتأخرين، فهو يعني بالمثل هنا الاستعارة المذكورة.

وفي موضع آخر يطلق لفظ «المثل» على ماعرف بعد ذلك بالاستعارة المكنية.

فقد روى الجاحظ لسودة بن رملة:

إن الألى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد
هم ساعد الدهر الذي يتقى به وما خير كف لاتنوء بساعد
أسود شرى لاقت أسود خفية
تساقوا على حرد دماء الأساود

ثم علق على هذه الأبيات بقوله: «هم ساعد الدهر: إنما هو مثل، وهذا الذي تسميه الرواة: البديع».

وقد قال الراعي:

هم كاهل الدهر الذي يتقى به ومنكبه إن كان للدهر منكب

وقد جاء في الحديث: «موسى الله أحد، وساعد الله أشد»[1].

فالجاحظ يطلق على هذه العبارة «هم ساعد الدهر» المثل، وكذلك «هم كاهل الدهر»، و«ساعد الله» وهذا الأسلوب هو «الاستعارة بالكناية» في عرف المتأخرين.

والمثل هو البديع، فهذه الاستعارة من البديع عند الجاحظ.

---

(١) البيان والتبيين ٤ / ٥٥.

٢ — التشبيه :

وهو مسبوق إلى هذا النوع كما سلف القول بالخليل وسيبويه والأصمعي وأبي عبيدة ، ثم جاء الجاحظ فاستعمل التشبيه في مقابلة الحقيقة وهو يوازن بين قول النبي ﷺ : « الناس كلهم سواء كأسنان المشط » وبين قول الشاعر :

سواء كأسنان الحمار فلا ترى
لذي شيبة منهم على ناشئ فضلا

يقول الجاحظ : « وإذا حصلت تشبيه الشاعر وحقيقته ، وتشبيه النبي ﷺ وحقيقته عرفت فضل ما بين الكلامين »[1] .

وقد أكثر في كتاب الحيوان من الحديث عن التشبيه ، وذكر شواهده في مواضع كثيرة .

منها قوله : « وقد يشبه الشعراء والعلماء والبلغاء الإنسان بالقمر وبالشمس والغيث والبحر ، ولكنهم لا يخرجون بهذه المعاني إلى هذه الحدود وهذه الأسماء »[2] .

وفي موضع آخر يقول : « وكذلك يشبه النمام والمداخل والدسيس بالقنفذ لخروجه بالليل دون النهار ، ولاحتياله للأفاعي .

قال عبدة بن الطبيب :

أعصوا الذي يلقي القنافذ بينكم متنصحاً وهو السمام الأنقع
يزجي عقاربه ليبعث بينكم
حرباً كما بعث العروق الأخدع

(١) البيان والتبيين ٢/١٩
(٢) الحيوان ١/٢١١

حران لا يشفى غليل فؤاده عسل بماء فى الإناء مشعشع
لا تأمنوا قوماً يشيب صبيهم بين القوابل بالعداوة ينشع

وهذا الشعر من غرر الأشعار، وهو مما يحفظ[1].

وبالتأمل فى الأبيات المذكورة نجد أن «القنافذ» مستعارة للنمائم أو للنامين فهل هذا خلط منه بين التشبيه والاستعارة؟ قد يكون هذا من قبيل الخلط بين النوعين لأن الفرق بين التشبيه والاستعارة لم يكن قد تقرر بعد فى تلك المرحلة المتقدمة من تاريخ البلاغة، وربما أشار الجاحظ بذلك إلى أن التشبيه أصل الاستعارة فالصلة بينهما وثيقة، لأنها تشبيه مبالغ فيه كما هو معروف.

وهو يسمى التشبيه «المثل»، ومن المواضع التى أطلق فيها كلمة «المثل» على التشبيه قوله: «وهجا دريد بن الصمة رجلا فجعل البيضة الفاسدة مثلا له، ثم ألحق النسر بأحرار الطير وكرامها، وما رأيتهم يعرفون ذلك للنسر، فقال:

وهل أنت إلا بيضة مات فرخها
ثوت فى سلوخ الطير فى بلد قفر
حواها بغاث شر طير علمتها
وسلاء ليست من عقاب ولا نسر[2]

ومن ذلك قوله: «ويقال فى مثل: إذا مدحوا الخف اللطيف والقدم اللطيفة قالوا: كأنه لسان حية»[3].

---

(١) الحيوان ١٦٦/٤ مشعشع: مخلوط، ينشع: توضع فى فمه ليشربها.
(٢) الحيوان ٣٥٨/٤
(٣) المصدر السابق ٢٥٠/٤

وقوله: « باب من ضرب المثل للرجل الداهية ، وللحى الممتنع بالحية »
كقول ذى الإصبع:

عذير الحى من عدوا ن كانوا حية الأرض[1]

فإطلاق المثل على التشبيه أمر مستقر فى خاطره متكرر فى كثير من المواضع .

وقد ذكر الجاحظ أن الشىء قد يشبه بشىء آخر من جهتين مختلفتين ، فالعرب يقولون : ماهو إلا شيطان : يريدون القبح ، وما هو إلا شيطان يريدون الفطنة وشدة العارضة ، أو على معنى الشهامة والنفاذ[2] .

كما ذكر من أنواع التشبيه : تشبيه شيئين بشيئين كقول امرىء القيس:

كأن قلوب الطـــير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى

وقد اقتفى البلاغيون أثره فى ذكر هذا البيت شاهداً من شواهد التشبيه المتعدد .

هذا بالإضافة إلى ألوان من التشبيهات النادرة المبتكرة كقول امرىء القيس فى فرسه :

له أيطلا ظبى وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل[3]

على أن الجاحظ قد قرر حقيقة هامة فى هذا الباب وهى أن الطرفين لا يتشابهان من جميع النواحى ، بل يفترقان فى بعض الصفات ، وإلا تطابقا واتحدا ، ولا يشبه الشىء بنفسه » .

---

(١) المصدر السابق ٢٣٣/٤
(٢) المصدر السابق ٣٠٠/١
(٣) الحيوان ٥٣/٣

هذا قليل من كثير أضافه أبو عثمان إلى مبحث التشبيه ، مما أفاد الباحثين بعده .

٣ — الكناية والتعريض :

وقد سبق إليها الخليل فى معجم العين[١] فى مواضع كثيرة . وأبو عبيدة[٢] والفراء[٣] والأصمعى لجاء الجاحظ واستعملها فى مقابلة التصريح حيث قال : «ورب كناية تربى على الإفصاح» ، وقال فى موطن آخر : «إذا قالوا : فلان مقتصد . فتلك كناية عن البخل ، وإذا قالوا للعامل مستقص فتلك كناية عن الجور»[٤] .

وقد أشار إلى الكناية والتعريض فيما عرضه من قول قيس بن خارجة ابن سنان «عندى قرى كل نازل ، ورضا كل ساخط ، وخطبة من لدن تطلع الشمس إلى أن تغرب . آمر فيها بالتواصل ، وأنهى فيها عن التقاطع ، فقيل لأبى يعقوب الخريمى : هلا اكتفى بالأمر بالتواصل عن النهى عن التقاطع ؟ أو ليس الأمر بالصلة هو النهى عن القطيعة ؟ قال : أو ما علمت أن الكناية والتعريض لا يعملان فى العقول عمل الإفصاح والكشف»[٥] وهو لم يفرق بين الكناية والتعريض ، ومعنى ذلك أنه يستعملها بمعنى واحد ، كما يبدو من كلامه .

وهو يشير إلى بعض أغراض الكناية وفوائدها فى ترك التصريح

---

(١) العين ١/٢٤١ ، ٢٩٦ — ٢/٧٥ ، ٢٣٦

(٢) مجاز القرآن ١/١٥٥ ، ٢١٢

(٣) معانى القرآن ١/٣٠٣

(٤) البيان والتبيين ١/١٧٨

(٥) المصدر السابق ١/٨٢ ، ٨٣

بالمعنى الفاحش الذى تتأذى النفس بسماعه . وأن ذلك من حسن أدب الخطيب أو الكاتب . يقول : « ويقال لموضع الغائط الخلاء والمذهب والمخرج والكنيف والحش والمرحاض والمرفق . وكل ذلك كناية واشتقاق ، وهذا يدلك على شدة هربهم من الدناءة والفسولة والفحش والقذع »[1] .

وهو يسلك الكناية مع الأساليب التى تعين على الوفاء بما يقتضيه المقام إذ يقول : « ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ، ولكل نوع من المعانى نوع من الأسماء ، فالسخيف للسخيف ، والخفيف للخفيف ، والجزل للجزل ، والإفصاح فى موضع الإفصاح ، والكناية فى موضع الكناية ، والاسترسال فى موضع الاسترسال »[2] فهذا كله من تناسب الألفاظ مع الأغراض .

٤ — الاحتراس (إصابة المقدار) :

يقول الجاحظ : « ويذكرون الكلام الموزون ويمدحون به ، ويفضلون إصابة المقادير ويذمون الخروج من التعديل »[3] فالشأن عندهم فى إصابة القدر . قال طرفة فى المقدار وإصابته :

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمى[4]

طلب الغيث على قدر الحاجة ؛ لأن الفاضل ضار . وقال النبى ﷺ فى دعائه : « اللهم اسقنا سقياً نافعاً » ، لأن المطر ربما جاء فى غير إبان

(١) الحيوان ٥/٢٩٥
(٢) المصدر السابق ٣/٣٩
(٣) البيان والتبيين ١/٢٢٧
(٤) المصدر السابق ١/٢٢٨

الزراعات، وربما جاء والتمر فى الجرن، والطعام فى البيادر، وربما كان فى الكثرة مجاوزا المقدار الحاجة».

فهذا النوع الذى سماه الجاحظ «إصابة المقدار» هو الذى أطلق عليه المتأخرون: التكميل أو الاحتراس، ومثلوا له بقول طرفة الذى ساقه الجاحظ فى هذا الموضع.

● — حسن التقسيم:

سبقه إليه الأصمعى، وذلك فى تعليقه على بيت الطرماح بن حكيم الذى جمع إلى التشبيه والاستعارة: «حسن التقسيم وصحة المقابلة» كما أسلفت القول.

وقد أشار الجاحظ إلى هذا النوع. حيث قال: «كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أعلم الناس بالشعر.. ولقد أنشدوه شعراً لزهير — وكان لشعره مقدما — فلما انتهوا إلى قوله:

وإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

قال عمر كالمتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها، وإقامته أقسامها: وأن الحق مقطعه... البيت. يردد البيت من التعجب»[1].

وأنشدوه قصيدة عبدة بن الطبيب الطويلة، فلما بلغ المنشد إلى قوله:

والمرء ساع لشىء ليس يدركه والعيش شح وإشفاق وتأميل

قال عمر متعجباً: والعيش شح وإشفاق وتأميل

يعجبهم من حسن ما قسم وما فصل»[2].

---

(١) البيان والتبيين ٢٤٠/١

(٢) المصدر السابق ٢٤١/١

وجاء فى شرحه لقصيدة بشر بن المعتمر الثانية هذان البيتان :

تعرف بالإحساس أقدارها فى الأسر والإلجاع والصبر
وكل شىء فعلى قدره يحجم أو يقدم أو يجرى

وعلق على البيت الثانى بقوله : « وقسم الأشياء ، فقال : إنما هو نكوص وتأخر وفرار ، وإجماع ، وليس بفرار ولا إقدام ، وكذلك هو » [١] .

وقول الجاحظ : « إنما هو نكوص وتأخر وفرار » كان ينبغى أن يكون : « إنما هو إحجام وإقدام وجرى » لأن النكوص والتأخر لاوجود لهما فى البيت الثانى .

٦ — الإرصاد :

سبق ابن المقفع إليه ، وإن لم يطلق عليه هذا الاسم ، فيما نقله عنه الجاحظ من قوله : وليكن فى صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذى إذا سمعت صدره عرفت قافيته » [٢] وتلك هى حقيقة الإرصاد .

ويضيف الجاحظ موضحاً بقوله ، « كأنه يقول : فرق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد ، وخطبة الصلح ، وخطبة التواهب حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه » .

وقد روى هذا المعنى على لسان الخليل بن أحمد حيث يقول : « أشعر بيت : البيت الذى يكون فى أوله دليل على قافيته » [٣] .

---

(١) الحيوان ٤٠٨/٦ (٢) البيان والتبيين ١١٦/١
(٣) العقد الفريد ١٧٣/٦

٧ — السجع :

وهو مصطلح قديم، عرفه العرب فى الجاهلية، فقد كانوا يتحاكمون إلى الكهان، وهؤلاء كانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع كقول أحدهم : « والأرض والسماء والعقاب الصقعاء واقعة ببقعاء . لقد نفر المجد بنى العشراء للمجد والسناء » .

وهذا الباب كثير، فقد ذكر التاريخ أن ضمرة بن ضمرة، وهرم ابن قطبة، والأقرع بن حابس، ونفيل بن عبد العزى كانوا يحكمون وينفرون بالأسجاع . . . حتى نهى النبى ﷺ عن تكلفه، لقرب عهدهم بالجاهلية فقال : « أسجعا كسجع الكهان »[1] .

وقد تحدث عنه الجاحظ فى غير موضع من « البيان والتبيين » . وذكر كثيراً من أسجاعهم « ومن الأسجاع الحسنة : قول الأعرابية حين خاصمت ابنها إلى عامل الماء » فقالت : « أما كان بطنى لك وعاء ؟ أما كان حجرى لك فناء ؟ أما كان ثديى لك سقاء ؟ فقال ابنها :

لقد أصبحت خطيبة رضى الله عنك »[2] . وكانوا يلجأون إلى السجع عند المفاخرة والمنافرة[3] .

٨ — الازدواج :

عقد له الجاحظ باباً سماه :« باب من مزدوج الكلام »[4] وهو يريد بهذا اللون البديعى : تساوى الفقرتين فى الطول، مع توافر السجع، فهو يجمع بين السجع والموازنة فى العبارات المتتالية . ومن أمثلته : قول النبى

---

(١) البيان والتبيين ١ / ٢٨٧ (٢) المصدر السابق ١ / ٤٠٨

(٣) المصدر السابق ٦/٣ (٤) المصدر السابق ١١٦/٢

ﷺ في معاوية : « اللهم علمه الكتاب والحساب . وقه العذاب » . وقال رجل من بني أسد : مات لشيخ منا ابن فاشتد جزعه عليه ، فقال له شيخ منا : اصبر أبا أمامة : فإنه فرط افترطته ، وخير قدمته وذخر أحرزته ، فقال مجيبا له : « ولد دفنته ، وثكل تعجلته ، وغيب وعدته . والله لئن لم أجزع من النقص لا أفرح بالمزيد » [١] .

ومنه مارواه الأصمعي عن ابن أقيصر : خير الخيل الذي إذا استدبرته جنا ، وإذا استقبلته أقعى ، وإذا استعرضته استوى ، وإذا مشى ردى ، وإذا ردى دحا » .

٨ — اللغز في الجواب :

عقد له الجاحظ بابا بهذا الاسم فقال : باب من اللغز في الجواب ، ومن شواهده : « قولهم : كان الحطيئة يرعى غنما له ، وفي يده عصا ، فمر به رجل فقال : ياراعي الغنم :

ما عندك ؟ قال عجراء من سلم . يعني عصاه . قال : إني ضيف . فقال الحطيئة : للضيفان أعددتها » [٢] . وهذا الجواب من الحطيئة ينطبق على ما عرف بعد ذلك بالأسلوب الحكيم . وفي موضع آخر يقول الجاحظ : « ومن الكلام كلام يذهب السامع منه إلى معاني أهله » وإلى قصد صاحبه ، ويذكر أمثلة لهذا الضرب من الكلام من بينها : « وقد سأل رجلا بلالا مولى أبي بكر رحمه الله — وقد أقبل من جهة الحلبة — فقال له : من سبق ؟ قال سبق المقربون . قال : إنما أسألك عن الخيل . قال : وأنا أجيبك عن الخير . فترك بلال جواب لفظه إلى خبر هو أنفع له » [٣] وهذا من باب « الأسلوب الحكيم » .

---

(١) البيان والتبيين ٢/١١٦ (٢) المصدر السابق ٢/١٤٧

(٣) المصدر السابق ٢/٢٨١

وشبيه بذلك ما ورد فى موضع ثالث ، حيث ذكر جواب عامر بن عبد القيس حيث سئل ، وقد أقبل من الحلبة ، وهو بالشام : من سبق ؟ قال : رسول الله ﷺ . قيل : فمن صلى ؟ قال أبو بكر : قال السائل : إنما أسألك عن الخيل ، قال عامر : وأنا أجيبك عن الخير »[1] ، ففيه توجيه إلى الأولى والأليق بحاله ، وأن هذا ما ينبغى السؤال عنه .

فهذا من إجابة السائل بغير ما يتطلب ، وللجاحظ فضل السبق إلى هذا النوع .

٩ — المذهب الكلامى :

نسبه ابن المعتز إلى الجاحظ حيث يقول: « وهو مذهب سماه الجاحظ عمرو بن بحر « المذهب الكلامى » وهذا باب ما أعلم أنى وجدت فى القرآن منه شيئا ، وهو ينسب إلى التكلف ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً »[2] .

والعبارة الأخيرة قد تكون من كلام الجاحظ ، وإلى ذلك ذهب بعض الباحثين[3] .

وقد تكون من كلام ابن المعتز ، كما ذكر أبو هلال العسكرى وابن أبى الإصبع[4] .

والذى ينبغى تسجيله هنا أن هذا المذهب لا وجود له فى كتب الجاحظ التى بين أيدينا ، ولم يذكر ابن المعتز : أين قال الجاحظ هذا الكلام ، وماذا قال فيه حتى نقف على رأيه .

---

(١) الحيوان ٢٧٦/٤ ، والمصلى فى الحلبة هو الذى يلى السابق .
(٢) البديع ص ٥٣
(٣) كشاف اصطلاحات الفنون ٥١١/١
(٤) الصناعتين ٤٢٦ تحرير التحبير ص ١١٩

١٠ — هزل يراد به الجد :

وهذا اللون من ابتكار الجاحظ ، وهو طريق من طرق التعبير ، أدركه الجاحظ بفطرته الساخرة .

وذلك في قوله : « قال إبراهيم بن هانىء . وكان ماجناً خليعاً ، وكثير العبث متمرداً ، ولولا أن كلامه هذا الذى أراد به الهزل يدخل في باب الجد ، لما جعلته صلة الكلام الماضى وليس فى الأرض لفظ يسقط البتة . ولا معنى يبور حتى لا يصلح لمكان من الأماكن . قال : ومن تمام آلة القصص أن يكون القاص أعمى . ويكون شيخاً بعيد مدى الصوت . ومن تمام آلة الزمر أن تكون الزامرة سوداء . ومن تمام آلة المغنى أن يكون فاره البرذون براق الثياب عظيم الكبر سيء الخلق . ومن تمام آلة الخمار أن يكون ذميا ، ويكون اسمه أذين أو شلوما أو مازيار . . . ومن تمام آلة الشعر أن يكون الشاعر أعرابياً . ويكون الداعى إلى الله صوفياً ، ومن تمام آلة السؤدد أن يكون السيد ثقيل السمع ، عظيم الرأس . . . . »[1] .

١١ — المبالغة :

عرض الجاحظ للمبالغة وإن كان لم يطلق عليها هذه التسمية ، ولم يفصل القول فيها بل اكتفى بذكر شواهد فيها إسراف ، وأخرى فيها اقتصاد .

يقول الجاحظ :

« وإذ قد ذكرنا شيئاً من الشعر فى صفة الضرب والطعن ، فقد

---

(١) البيان والتبيين ١ / ٩٣ ، ٩٤ .

ينبغى أن نذكر بعض ما يشاكل هذا الباب من إسراف من أسرف واقتصاد من اقتصد.

فأما من أفرط فقول المهلهل :

فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور

ثم قال بعد ذلك : « ومما يدخل فى هذا البيت قول عنترة :

وعنام والخيل تردى بالقنا وبكل أبيض صارم قصال
وأنا المنية فى المواطن كلها والطعن منى سابق الآجال

وقوله :

إن المنية لو تمثل مثلت مثلى إذا نزلوا بضنك المنزل

وممن صدق على نفسه عمرو بن الإطنابة حيث يقول :

وإقدامى على المكروه نفسى وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت
مكانك تحمدى أو تستريحى[1]

وهو مسبوق إليها بالأصمعى كما سلف القول . وقد تناولها بعد الجاحظ ابن قتيبة وهو يتحدث عن الاستعارة ، فاستحسنها ، وزد على من عابوا الشعراء بها ، ونسبوهم إلى الإفراط وتجاوز المقدار ، وساق لذلك شواهد كثيرة من الشعر والنثر منها قول النمر بن تولب فى صفة سيف :

تظل تحفر عنه إن ضربت به
بين الذراعين والساقين والهادى[2]

---

(١) الحيوان ١ / ٤١٨

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ١٧٣ والصبغ البديعى ص ١٣٩

١٢ — تأكيد المدح بما يشبه الذم :

عرض الجاحظ لهذا النوع ، دون تسميته باسمه الاصطلاحى، حيث ذكر شواهد (الاستعارة التمثيلية) فى عرف المتأخرين ، والتى بناها على قوله تعالى : « هذا نزلهم يوم الدين » ثم قال : « وقال النابغة فى شبيه بهذا، وليس به :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب

فهو جمع بين المتناقضين — فى الظاهر — كما ذكر عن الفأر قول الشاعر :

ياعجل الرحمن بالعذاب   لعامرات البيت بالخراب[1]

ولكن المقصود من بيت النابغة المدح ، أما ذاك وأمثاله ، فالمقصود منه التهكم .

١٣ — الاقتباس :

عرض له الجاحظ ، ونوه بشأنه وقيمته فى نظر العرب ، فهم يسمون الخطبة التى لم توشح بالقرآن ، وتزين بالصلاة على النبى ﷺ: «الشوهاء» ، وأشار إلى قصة عمران بن حطان حين خطب عند زياد خطبة رائعة لم يقصر فيها عن غاية فمر ببعض المجالس ، فسمع شيخا يقول : هذا الفتى أخطب العرب لو كان فى خطبته شىء من القرآن »[2] فتوشيح الكلام بشىء من القرآن « اقتباس » أما التضمين فيكون بالشعر .

(١) البيان والتبيين ١٥٢/١ والحيوان ٢٧٤/٤
(٢) البيان والتبيين ٦/٢

١٤ — حسن الابتداء :

روى الجاحظ عن شبيب بن شيبة قوله : « والناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء ، وبمدح صاحبه ، وأنا موكل بتفضيل جودة القطع ، وبمدح صاحبه »[١] .

وقد سبق الحديث عن هذا النوع عند أبي سعيد الأصمعي حين قال : لم يبتدىء أحد من الشعراء مرثية أحسن ابتداء من مرثية أوس بن حجر :

أيتها النفس أجملي جزعا
إن الذى تحذرين قد وقعا

وإذا كان شبيب بن شيبة قد توفى سنة ١٧٠ هـ فمعنى ذلك أنه كان معاصراً للأصمعى ، ولذلك فإننا لا نستطيع أن نقطع بسبق أحدهما إلى هذا المصطلح لعدم وجود الدليل القاطع ولكن يكفى أنهما أضافا هذا المصطلح إلى غيره من فنون البلاغة وألوان البديع .

وخلاصة القول أن الجاحظ قد تحدث عن وجوه البديع الآتية : الاستعارة والتشبيه والكناية وإصابة المقدار (الاحتراس) وحسن التقسيم والإرصاد والسجع والازدواج واللغز فى الجواب (أسلوب الحكيم) والمذهب الكلامى والهزل يراد به الجد ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم . والاقتباس وحسن الابتداء ، وهو سابق إلى بعضها كما قلت فى الاحتراس (إصابة المقدار) واللغز فى الجواب ، والازدواج والهزل يراد به الجد والمبالغة وتأكيد المدح بما يشبه الذم والاقتباس والمذهب الكلامى الذى نسبه إليه ابن المعتز . أما بقية هذه الأنواع فهو مسبوق إليها على النحو الذى أشرت إليه فى الحديث عنها .

---

(١) المصدر السابق ١ / ١١٢

فالجاحظ يمثل مرحلة بالغة الأهمية فى البحث البلاغى والنقدى ، لأنه أديب موسوعى واسع الثقافة ، ملمّ بمعارف عصره ، ثم إنه صاحب منهج متميز فى الحديث عن البديع وأنواعه .

• • •

بديع ابن المعتز :

فى القرن الثالث الهجرى اشتدت الخصومة بين القديم والجديد ، وازداد الصراع بين المحافظين والمجددين ، فالفريق الأول يتعصب لطريقة العرب فى التعبير ، وأساليبهم الأصيلة التى يمثلها عمود الشعر العربى ، وهذه الطريقة يحمل لواءها البحترى ت ٢٨٤ هـ .

والفريق الثانى يتمثل فى هؤلاء الذين تأثروا بالعلوم والمعارف التى شاعت فى عصر الترجمة كالمنطق والفلسفة والحكمة والأدب والفلك وغير ذلك من آثار الأمم الأخرى ، وقد ترتب على ذلك أن شاعت فى أشعارهم مصطلحات علمية وفلسفية . وظواهر لغوية وأساليب منطقية لا عهد للشعر العربى بها من قبل ، وتعصب كل فريق لما عنده ، وحمى وطيس المعركة بين الجانبين ، وكان من ثمرة الخصومة تأليف عبد الله بن المعتز لكتاب « البديع » الذى كشف النقاب عن حقيقة هذه الخصومة وما يدور حولها .

وترجع أهمية كتاب « البديع » إلى أنه أول كتاب منهجى يستقل بالتأليف البلاغى ، فقد كانت الكتب قبل ذلك تشتمل على فنون شتى ، وتعالج قضايا عديدة فى اللغة والأدب والنحو والأخبار . وكانت مسائل البلاغة تأتى عرضاً فى ثنايا هذه المؤلفات حتى « البديع » لابن المعتز ، فاستقل بدراسة « البديع » ومحاسن الكلام العربى ، بمنهج واضح المعالم .

وقد صرح بغرضه من تأليف هذا الكتاب حيث قال : « وإنما غرضنا

في هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع ، وفي دون ما ذكرنا مبلغ الغاية التي قصدناها وبالله التوفيق »[١] .

فهو يريد أن يقول لمعاصرية : إن البديع معروف في العربية منذ العهد القديم . وهذا هو ما يدل عليه قوله في المقدمة : « قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله ﷺ ، وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ، ليعلم أن بشاراً ومسلما وأبا نواس ومن تقيلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ، ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمى بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه »[٢] .

وهو يحدد مراده بالبديع الذي هو موضوع الكتاب ، الذي شغل الأدباء والنقاد في زمانه فيقول : « إن البديع اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم ، فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ، ولا يدرون ما هو ، وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد ، وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين »[٣] .

وقوله : « وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحـــد » فيه شيء من التجاهل لجهود من سبقه كالأصمعي والجاحظ ، فقد تحدثا عن كثير من هذه الفنون على النحو الذي أشرت إليـه ، اللهم إلا إذا كان يقصد جمعها في كتاب ، فنحن نسلم له بذلك ، فهو أول من جمع ألوان البديع على هذا النحو في كتاب يحمل اسم « البديع » ويستقل بالحديث عن فنونه ، ففتح بذلك باب التأليف في البديع ، وتوالت كتب البديع في القرن الرابع الهجري ،

---

(١) البديع لابن المعتز ص ٣ (٢) المصدر السابق ص ١

(٣) البديع ص ٥٨

وكل يضيف إلى سابقه ما توصل إليه من جديد فى أبواب البديع ومحاسن الكلام ، ويبقى الفضل لمن مهد الطريق للجميع .

أنواع البديع عند ابن المعتز :

تضمن كتاب «البديع» ثمانية عشر نوعاً من فنون البديع ، وهى قسمان:

القسم الأول : خمسة أبواب أطلق عليها اسم « البديع » وهى :

الاستعارة — التجنيس — المطابقة — رد الأعجاز على ما تقدمها — المذهب الكلامى[1] .

القسم الثانى : يضم ثلاثة عشر وجهاً ، أطلق عليها اسم « محاسن الكلام »[2] وأباح لغيره أن يسميها بديعا إن أراد ذلك ، وأشار إلى أنها كثيرة لاينبغى للعالم أن يدعى الإحاطة بها .. ثم يقول : « اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختياراً من غير جهل بمحاسن الكلام ولا ضيق فى المعرفة فمن أحب أن يقتدى بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل ، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئا إلى البديع فله اختياره[3] » .

وهذه المحاسن التى ذكرها ابن المعتز هى :

الالتفات — اعتراض كلام فى كلام — الرجوع — حسن الخروج من معنى إلى معنى — تأكيد المدح بما يشبه الذم — تجاهل العارف — هزل يراد به الجد — حسن التضمين — التعريض والكناية — الإفراط فى الصفة — حسن التشبيه — إعنات الشاعر نفسه فى القوافى — حسن الابتداءات .

وهذه وقفة مع أبواب البديع ومحاسن الكلام عند ابن المعتز ، لنقف على جهده فيها .

---

(١) المصدر السابق ص ٣—٥٧ (٢) المصدر السابق ص ٥٨—٧٧

(٣) البديع ص ٥٨

القسم الأول : البديع :

١ — الاستعارة :

عرفها بقوله : هى استعارة الكلمة لشىء لم يعرف بها من شىء قد عرف بها[1] ثم ذكر شواهدها من القرآن الكريم ومن الحديث الشريف وكلام الصحابة ومن فصيح الكلام القديم والحديث شعرا ونثرا ثم يختم الباب بما عيب من الاستعارة ليجنب الشعراء الوقوع فى هذه الأخطاء التى تنزل بأشعارهم إلى الحضيض .

وقد بدا ذوقه الأدبى الرفيع فى اختياره لشواهده المتنوعة وعرضه لها مع التعليق اليسير أحيانا بلغة عذبة واضحة لا تعقيد فيها ولا استغلاق فى أساليبها .

وابن المعتز مسبوق إلى هذا المصطلح — كما ذكرت آنفا — بأبى عمرو ابن العلاء وحماد والأصمعى وأبى عبيدة والجاحظ وابن قتيبة والمبرد .

٢ — التجنيس :

وهو أن تجىء الكلمة تجانس أخرى فى بيت شعر وكلام . ومجانستها لها أن تشبهها فى تأليف حروفها على السبيل الذى ألف الأصمعى كتاب الأجناس عليها[2] .

فابن المعتز مسبوق إلى هذه التسمية بالأصمعى ، والأصمعى مسبوق إليها بالخليل ت ١٧٥ هـ يقول ابن المعتز : « وقال الخليل : الجنس لكل ضرب من الناس والطير والعروض والنحو ، فمنه ما تكون الكلمة تجانس أخرى فى تأليف حروفها ومعناها ويشتق منها مثل قول الشاعر :

يوم خلجت على الخليج نفوسهم

(١) البديع ص ٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥ .

أو يكون تجانسها فى تأليف الحروف دون المعنى مثل قول مسلم ابن الوليد :

ياصاح إن أخاك الصب مهموم
فارفق به إن لوم العاشق اللوم[1]

والجديد الذى أضافه ابن المعتز هو هذا الحشد الهائل من الشواهد القرآنية والنبوية والشعرية وتذييله بذكر أمثلة من التجنيس المعيب فى الشعر وكلام الناس كقول الشاعر :

أكابد منك أليم الألم   فقد أنحل الجسم بعد الجسم

وقول أبى تمام :

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت   فيه الظنون أمذهب أم مذهب[2]

٣ — المطابقة :

ذكر تعريف الخليل لهذا النوع فقال : « قال الخليل : « طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو واحد . وكذلك قال أبو سعيد» يقصد « الأصمعى» . فهو مسبوق إلى المطابقة بها .

ثم يذكر شواهدها فيقول : « فالقائل لصاحبه . أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا فى ضيق الضمان . قد طابق بين السعة والضيق فى هذا الخطاب . وقال الله تعالى : «ولكم فى القصاص حياة ياأولى الألباب» وقال رسول الله ﷺ للأنصار : إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع ، وهذا مثل الأول »[3] .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٥   (٢) المصدر السابق ص ٣٥ .
(٣) المصدر ص ٣٦ .

ومن المعيب من المطابقة قول الأخيطل :

قلت المقـــام وناعـب قال النوى
فعصيت أمرى والمطاع غـــراب

وهذا من غث الكلام وبارده[1] ، ويمضى فى سرد الشواهد الشعرية على هذه الطريقة .

٤ — رد أعجاز الكلام على ماتقدمها :

وقد جعل هذا النوع ثلاثة أقسام :

(ا) مايوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة فى نصفه الأول مثل قول الشاعر :

تلقى إذا ما الأمر كان عرمرماً فى جيش رأى لايفل عرمرم

(ب) مايوافق آخر كلمة منه أول كلمة فى نصفه الأول . كقوله :

سريع إلى ابن العم يلطم وجهـــه
وليس إلى داعى النـــدى بسريع

(ج) مايوافق آخر كلمة فيه بعض مافيه كقول الشاعر :

عميد بنى سليم أقصدته سهام الموت وهى له سهام[2]

ويذكر من شواهده فى القرآن الكريم : « أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا » وشواهد أخرى كثيرة من الشعر القديم والحديث .

وهذا الباب قد يلتبس بالإرصاد ، وهذا أمر وارد ، فكثير من صور الإرصاد يمكن أن تكون من « رد الأعجاز على الصدور » مع

---

(١) المصدر السابق ص ٤٦ (٢) البديع ص ٤٧، ٤٨

أن الإرصاد منظور فيه إلى صدر الكلام . ورد الأعجاز على الصدور منظور فيه إلى عجز الكلام ، والرابطة بين صدر الكلام وعجزه فى الأول معنوية وفى الثانى لفظية .

٥ — المذهب الكلامى :

نسبه إلى الجاحظ كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، وقال : « وهذا باب ماأعلم أنى وجدت فى القرآن منه شيئاً وهو ينسب إلى التكلف تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً »[1] .

وإذا كان ابن المعتز يعتبر هذا اللون من التكلف ، فلماذا جعله من بديع الكلام ؟! هذه هى أبواب البديع الخمسة . أما بقية الأنواع فقد أطلق عليها «محاسن الكلام» ، وهو لايرى حرجاً فى إطلاق اسم «البديع» عليها لمن شاء ، وماذكره منها قليل من كثير وهى :

القسم الثانى : محاسن الكلام :

١ — الإلتفات :

والأصمعى هو الذى وضع هذا المصطلح كما أسلفت القول . وكان يعنى به الإنصراف عن معنى إلى معنى آخر . وقد أشار أبوعبيدة إلى نوع آخر من الإلتفات — وإن لم يسمه — حيث قال[2] : « ومن مجاز ماجاءت مخاطبته مخاطبة الغائب ومعناه الشاهد قول الله تعالى : « ألم ذلك الكتاب »[3] مجازه : هـــذا القرآن ، ومن مجاز ماجاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد ثم تركت وحولت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب قول الله تعالى :

(١) البديع ص ٥٣ . (٢) مجاز القرآن ١١/١ .
(٣) سورة البقرة / ١، ٢ .

« حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم »[1] أى بكم . ومن مجاز ماجاء خبراً عن غائب ثم خوطب الشاهد قول الله تعالى : « ثم ذهب إلى أهله يتمطى أولى لك فأولى »[2] .

ثم جاء ابن المعتز فتحدث عن « الإلتفات » وعرفه بقوله : « وهو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار ، وعن الإخبار إلى المخاطبة ، ومايشبه ذلك . ومن الالتفات : الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر »[3] ، فالالتفات عند ابن المعتز يشمل نوعين: الأول وهو الانتقال من طريق الخطاب إلى طريق الغيبة أو العكس ، أو الانتقال من طريق التكلم إلى طريق الخطاب أو الغيبة أو العكس أيضاً ، وهو معنى الالتفات فى إصطلاح المتأخرين ، والثانى : الإنصراف عن معنى إلى معنى آخر ، وهو الذى ذكره الأصمعى .

وبذلك شق هذا المصطلح طريقه ، على يد ابن المعتز ، وأصبح مدلوله واضحاً ، وشواهده معروفة .

٢ — الاعتراض :

هو النوع الثانى من محاسن الكلام والشعر . وهو اعتراض كلام فى كلام لم يتمم معناه ثم يعود إليه فيتممه فى بيت واحد[4] ، وذلك كقول كثير :

لو ان الباخلين وأنت منهم رأوك تعلموا منك المطالا

وقول النابغة الجعدى :

ألا زعمت بنو سعد بأنى ألا كذبوا كبير السن فان

---

(١) سورة يونس / ٢٢ .
(٢) سورة القيامة / ٣٣ ، ٣٤ .
(٣) البديع ص ٥٨ .
(٤) البديع ص ٥٩ .

فقول كثير « وأنت منهم » جملة اعتراضية بين اسم أن وخبرها ، وهى تتميم للمعنى الذى يريده الشاعر ، وكذلك قول الجعدى « ألا كذبوا » اعتراض ، به يتحقق غرض الشاعر بنفى زعمهم عنه ، والزعم مطية الكذب .

٣ — الرجوع :

وهو أن يقول شيئا ويرجع عنه كقول أبى نواس :

ياخير من كان ومن يكون　　إلا النبى الطـاهر الأمين

إمام عـدل ماله قـرين　　أستغفر الله بلى هرون

وكقول آخر :

أليس قليلا نظرة إن نظرتها　　إليك وكلا ليس منك قليل[1]

وقد سبق إلى هذا المصطلح أبو عبيدة . قال الباقلانى : كان أبو عبيدة يقول عن امرىء القيس فى بيته :

وإن شفائى عبرة مهراقة　　فهل عند رسم دارس من معول

إنه رجع فأكذب نفسه . كما قال زهير :

قف بالديار التى لم يعفها القدم　　بلى وغيرها الأرواح والديم[2]

٤ — حسن الخروج من معنى إلى معنى :

وهذا النوع هو الذى سماه أبو تمام بالاستطراد فى حوار دار بينه وبين البحترى[3] .

قال البحترى : أنشدنى أبو تمام يوما لنفسه :

وسابح هطل بالشعر هتان　　على الجراء أمين غير خوان

---

(١) المصدر السابق ص ٦٠　　(٢) إعجاز القرآن ص ١٦١

(٣) معجم الأدباء لياقوت الحموى ٢٥٠/١٩ .

فلوتراه مشيحاً والحصى زيم
بين السنابك من مثنى ووحدان
أيقنت إن لم تثبت أن حافره
من صخر تدمر أو من وجه عثمان

ثم قال لي : ماهذا الشعر ؟ قلت : لا أدري . قال : هو الاستطراد . قلت : ومامعنى ذلك : قال يريك أنه يريد وصف الفرس ، وهو يريد هجاء عثمان ، وهذا هو الذي ذكره علماء البديع في تعريف الاستطراد .

وقد مثل ابن المعتز لهذا اللون بأمثلة كثيرة منها قول السموأل :

وإنا لقوم مانرى القتل سبة إذا مارأته عامر وسلول

وقول الآخر :

إذا ماانقى الله الفتى وأطاعه
فليس به بأس وإن كان من جرم

وقول زهير :

إن البخيل ملوم حيث كان ولـكن الجواد على علاته هرم[1]

وهذه الشواهدهي التي ترددت في كتب البديع لهذا اللون بعد ابن المعتز

٥ — تأكيد المدح بما يشبه الذم :

وقد أشار إليه الجاحظ — وإن لم يطلق عليه هذا الاسم — ومثل له بقول النابغة الذبياني :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الـكتائب

فابن المعتز هو صاحب هذه التسمية ، فهي من ابتكاره[2]، أما مضمون هذا النوع فهو موجود في كلام الجاحظ حيث عقب على بيت

---

(١) البديع ص ٦١ .
(٢) المصدر السابق ص ٦٢ .

النابغة الذبيانى بقوله : « هو جمع بين المتناقضين — فى الظاهر — كما قيل عن الفأر « العامرات البيت بالخراب » ولكن المقصود من بيت النابغة المدح . ومن الثانى التهكم والذم[١] .

٦ — تجاهل العارف :

وهو الذى أطلق عليه المتأخرون « الإعنات والتشكيك » وسماه السكاكى « سوق المعلوم مساق غيره » . وقد مثل له ابن المعتز ببعض الشواهد الشعرية كقول زهير :

وأدرى وسوف إخال أدرى أقوم آل حصن أم نساء[٢]

٧ — هزل يراد به الجد :

وقد سبقه إليه الجاحظ — كما سلفت الإشارة إلى ذلك — وعبر عنه بقوله : « الهزل يدخل فى باب الجد »[٤] . ومن شواهده التى ذكرها ابن المعتز قول أبى نواس :

إذا ما تميمى أتاك مفاخرا
فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب[٥]

٨ — حسن التضمين :

تحدث الجاحظ عن الاقتباس ، ونوه بقيمته عند العرب[٦] ، وهو « حسن التضمين » عند ابن المعتز[٧] . ومعناه : أن يضمن المتكلم كلامه

---

(١) الحيوان ٢٧٤/٤
(٢) تحرير التحبير ١٣٥
(٣) البديع ص ٦٢
(٤) البيان والتبيين ٩٣/١
(٥) البديع ص ٦٣
(٦) البيان والتبيين ٦/٢
(٧) البديع ص ٦٤

كلمة من بيت أو من آية أو مثلا سائراً أو جملة مفيدة ، وقد مثل له ابن المعتز بأمثلة شعرية منها قول الشاعر :

عـــوذ لما بت ضيفاً له   أقراصه بخـــلا بياسين

فبت والأرض فراشي وقد   غنت قفا نبـــك مصاريني

فقد ضمن الشاعر بيته الأول كلمة من السورة الكريمة ، وبيته الثانى جملة من معلقة امرىء القيس ولكن العلماء فرقوا بينهما بعد ذلك . فخصوا الإقتباس بالقرآن ، والتضمين بالشعر[1] .

٩ — التعريض والكناية :

وهو مسبوق إلى هذا المصطلح — كما قلت آنفاً — فالكناية تحدث عنها الخليل بن أحمد والأصمعي وأبو عبيدة ، كما تحدث الجاحظ عن الكناية والتعريض ، وهذا مافعله ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن والمبرد فى الكامل ، وأطلق عليها ثعلب «لطافة المعنى»[2] .

ويبدو أن الكناية والتعريض مترادفان عند ابن المعتز ، ومن شواهدها عنده : قول الشاعر فى حجام :

أبوك أب مازال للناس موجعاً
لأعنـــاقهم نقر كما ينقر الصقر

إذا عوج الكتاب يوماً سطورهم
فليس بمعـــوج له أبداً سطر[3]

---

(١) الصبغ البديعى ص ١٣٨ .
(٢) قواعد الشعر لثعلب ص ٤٣ .
(٣) البديع ص ٦٥ .

١٠ — الإفراط فى الصفة :

تحدث الأصمعى والجاحظ عن المبالغة ، وإن لم يطلقا عليها هذا الاسم. وتحدث ثعلب عن « الإفراط فى الإغراق »[١] ، بينما سماها ابن المعتز « الإفراط فى الصفة »[٢] .

واستشهد لها بقول إبراهيم بن العباس الصولى :

يا أخا لم أر فى الناس خلا مثله أسرع هجراً ووصلا
كنت لى فى صدر يومى صديقاً
فعلى عهدك أمسيت أم لا

وقول آخر :

يا حابس الروث فى أعفاج بغلته
خوفاً على الحب من لقط العصافير

وشواهد أخرى كثيرة ، وهى متفاوتة بين القصد والاعتدال والإفراط والإسراف .

١١ — حسن التشبيه :

وهو مسبوق إلى مصطلح التشبيه ، فقد تحدث عنه الخليل وسيبويه والأصمعى وأبو عبيدة والفراء والجاحظ وابن قتيبة والمبرد وثعلب[٣] . ثم جاء ابن المعتز فجعله ضمن محاسن الكلام . وذكر له شواهد كثيرة من الشعر الجاهلى والاسلامى وشعر المحدثين منها قول امرىء القيس :

---

(١) قواعد الشعر ص ٣٩ . (٢) البديع ص ٦٥ .
(٣) قواعد الشعر ص ٣١ .

ومسرودة السك موضونة تضاءل في الطي كالمبرد
تفيض على المرء أردانها كفيض الأتي على الجدجد

وقال زهير :

بكرن بكوراً واستحرن بسحرة
فهن بوادى الرس كاليد للفم[1]

ومن أحسن التشبيه — عند المحدثين — قوله بشار :

كأن فؤادى كرة تنزى حذار البين لونفع الحذار

والغريب أن يذكر ابن المعتز في شواهد التشبيه بعض شواهد الإستعارة مع أنه قد تحدث عن الإستعارة وعرفها على النحو السابق . وذلك في قوله : « ومن عجائب التشبيه قوله :

تبكى فتذرى الدر من نرجس وتلطم الورد بعناب[2]

فهذه كلها استعارات لحذف المشبه في كل منها، فهي استعارات تصريحية باصطلاح المتأخرين .

١٢ — إعنات الشاعر نفسه في القوافي :

وهو ماأطلق عليه المتأخرون « لزوم مالايلزم » فالشاعر يتكلف من ذلك مالايجب عليه . وفي ذلك عنت ومشقة . ومن شواهده عند ابن المعتز قول الشاعر :

يقولون في البستان للعين لذة وفي الخمر والماء الذي غير آسن

---

(١) البديع ص ٦٨ .   (٢) المصدر السابق ص ٧٤ .

فإن شئت أن تلقى المحاسن كلها فقى وجه من تهوى جميع المحاسن[١]

وابن المعتز سابق إلى هذا النوع ، فلم أعثر عليه لغيره من السابقين فيما اطلعت عليه .

١٣ — حسن الابتداءات :

وقد تحدث عن هذا النوع الأصمعى والجاحظ فيما رواه عن شبيب ابن شيبة . ومن شواهده عند ابن المعتز قول النابغة :

كلينى لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطىء الكواكب[٢]

هذه هى ألوان البديع التى عرض لها ابن المعتز ومجموعها ثمانية عشر نوعاً سبق إلى أربعة منها وهى : « رد الأعجاز على الصدور والاعتراض وتجاهل العارف وإعنات الشاعر نفسه فى القوافى ، وكان متابعاً للسابقين فى بقية الأنواع ، والذى يحسب لابن المعتز أنه أول من جمع هذه الفنون البديعية فى كتاب منهجى يحمل اسم البديع .

---

(١) البديع ص ٧٤ ، ٧٥ (٢) المصدر السابق ٧٥

الفصل الثاني

« البديع فى القرن الرابع الهجرى »

البديع عند قدامة بن جعفر :

كان تأليف ابن المعتز لكتاب « البديع » بداية طيبة فتحت الباب على مصراعيه أمام العلماء على اختلاف ثقافاتهم للتأليف فى هذه الفنون التى يزداد بها الكلام حسناً وبهاء ، ويزداد بها الشعر سحراً وتأثيراً فى النفوس ، واطرد التأليف فى البديع فى القرن الرابع الهجرى ، فوضع قدامة بن جعفر ت ٣٣٧ هـ كتابه « نقد الشعر » الذى كان أول محاولة عملية لتطبيق أصول المنطق على الشعر العربى « وفيه يتبين مدى طغيان الروح العلمى وأسلوب التفكير على منهجه ، واستبداد الفلسفة والمنطق بعقل مؤلفه »[1] .

فى البداية يضع قدامة تعريفاً للشعر فيقول : « الشعر كلام موزون مقفى يدل على معنى » .

وهذا التعريف يشتمل على أربعة عناصر هى : اللفظ والمعنى والوزن والقافية . والثلاثة الأولى تأتلف فيحدث من ائتلافها بعضها مع بعض معان يتكلم فيها . أما القافية فهى تأتلف مع سائر البيت فقط ، فيتولد من ائتلافها أربعة أضرب :

١ — ائتلاف اللفظ مع المعنى .

---

(١) قدامة بن جعفر والنقد الأدبى ص ١٥٦ .

٢ — ائتلاف اللفظ مع الوزن .

٣ — ائتلاف المعنى مع الوزن .

٤ — ائتلاف المعنى مع القافية[1] .

وبذلك تصير الأقسام ثمانية : هى الأربعة المفردات . والأربعة المركبات ولكل ضرب صفات بها يكون جيداً ، وصفات بها يكون رديئاً . ثم يمضى فى شرح ذلك كله .

وهذه هى وجوه البديع التى عرض لها قدامة فى كتابه « نقد الشعر » :

١ — التشبيه :

جعله قدامة من الأغراض الشعرية كالنسيب والمدح والهجاء والرثاء ، مع أن التشبيه وسيلة للتعبير عن الأغراض ، وليس غرضاً مقصوداً لذاته ، فالشاعر يستعين بالتشبيه فى وصف الطبيعة مثلا ، ولا يأتى بالقصيدة لغرض التشبيه ، وإظهار براعته الفنية فيه .

وكان المفروض أن يوضع التشبيه فى نعوت ائتلاف اللفظ مع المعنى كالاستعارة والتمثيل والإرداف والمساواة والإشارة . وأساس التشبيه عند قدامه : أنه يقع بين شيئين بينهما اشتراك فى معان تعمهما ويوصفان بها ، وافتراق فى أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها[2] . وأحسن التشبيه ماوقع بين الشيئين اشتراكهما فى الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد ، وهذا أصل من أصول

(١) نقد الشعر ص ٧٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٤ .

التشبيه ذكره الجاحظ قبل قدامة ، فالتشبيه يقتضى الغيرية لا العينية ، إذ لا يشبه الشيء بنفسه .

وقد ذكر قدامة أن التشبيه على أضرب : منها : أن تجمع تشبيهات كثيرة فى بيت واحد وألفاظ يسيرة .

ومنها : أن يشبه شيء فى تصريف أحواله بأشياء تشبهه فى تلك الأحوال .

ومنها : أن يشبه شيء بأشياء فى بيت أو لفظ قصير . ومن التصرف فى التشبيه تجديد الشاعر وخروجه على مألوف الشعراء فى تشبيهاتهم ، ثم يذكر أمثلة لكل نوع منها .

وقد سبقه إلى التشبيه الخليل وسيبويه والأصمعى وأبو عبيدة والجاحظ وابن المعتز ولكن قدامة قد زاد فى مبحث التشبيه هذا التفصيل ، وتلك الإشارات النقدية فى الموازنة بين تشبيه وآخر .

٢ — صحة التقسيم :

وهو مسبوق إلى هذا المصطلح بالأصمعى والجاحظ على النحو الذى تقدم ، أما ابن المعتز فلم يشر إلى هذا اللون فى « البديع » .

وقد عرفه قدامة بقوله : « أن يبتدىء الشاعر فيضع أقساماً فيستوفيها ولا يغادر قسما منها »[1] ومثال ذلك قول نصيب فى أقسام المجيب عن الاستخبار :

فقال فريق القوم : لا ، وفريقهم
نعم ، وفريق قال : ويحك لا أدرى

---

(١) نقد الشعر ص ١٣٩ .

فليس فى أقسام الإجابة عن مطلوب — إذا سئل عنه — غير هذه الأقسام .

وصحة التقسيم عند قدامة من نعوت المعانى الشعرية . والالتزام بصحة المعانى مطلوب فى الشعر والنثر على حد سواء ، بل هو فى النثر ألزم ، ولكنه طغيان المنهج العلمى ومحاولة تطبيق أصول المنطق على الشعر العربى .

٣ — صحة المقابلة :

سبقه إليها الأصمعى فى تعليقه على بيت الطرماح ، الذى جمع بين حسن التقسيم وصحة المقابلة . فهى أول مرة يرد فيها مصطلح « صحة المقابلة » — فيما بين يدى من مصادر — والمعروف أن المقابلة نوع من الطباق ، وقد عرض له كل من الخليل والأصمعى قبل ذلك .

وهى عند قدامة : أن يصنع الشاعر معانى يريد التوفيق بين بعضها وبعض والمخالفة . فيأتى فى الموافق بما يوافق ، وفى المخالف بما يخالف على الصحة . أو يشرط شروطا ويعدد أحوالا فى أحد المعنيين فيجب أن يأتى فيما يوافقه بمثل الذى شرطه وعدده ، وفيما يخالف بضد ذلك كما قال بعضهم :

تقاصرن واحلولين لى ثم إنه
أتت بعـــد أيام طوال أمرت

فقابل القصر والحلاوة بالطول والمرارة[1] . وصحة المقابلة من مقاييس الجودة فى الشعر والنثر معاً .

---

(١) نقد الشعر ص ١٤١ .

٤ — صحة التفسير :

وهذا النوع من ابتكار قدامة ، وهو أن يضع الشاعر معانى يريد أن يذكر أحوالها فى شعره الذى يصنعه ، فإذا ذكرها أتى بها من غير أن يخالف معنى ما أتى به منها ولا يزيد أو ينقص ، كقول الفرزدق :

لقد جئت قوماً لو لجأت إليهم
طريد دم أو حاملا ثقل مغرم

فلما كان هذا البيت محتاجا إلى تفسير قال :

لألفيت فيهم معطيا أو مطاعنا   وراءك شزراً بالوشيج المقوم

ثم قال : ففسر قوله حاملا ثقل مغرم بقوله : « إنه يلفى فيهم مايطاعن دونه ويحميه »[1] .

وشواهد أخرى كثيرة تابعه فى ذكرها البلاغيون كأبى هلال وابن رشيق فى الحديث عن هذا اللون .

٥ — التتميم :

وهو شبيه بالنوع الذى سماه ابن المعتز « اعتراض كلام فى كلام لم يتم معناه » .

وقد عرفه قدامه بقوله : « هو أن يذكر الشاعر المعنى فلايدع من الأحوال التى تتم بها صحته وتكمل بها جودته شيئاً إلاأتى به » .

مثل قول نافع بن خليفة الغنوى :

رجال إذا لم يقبل الحق منهم
ويعطوه عاذوا بالسيوف القواطع[2]

---

(١) نقد الشعر ص ١٤٣
(٢) المصدر السابق ص ١٤٤

فما تمت جودة المعنى إلا بقوله « يمطوه » وإلا كان المعنى منقوص الصحة .

ومثله قول طرفة :

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمى

فقوله « غير مفسدها » إتمام لجودة ما قاله ، لأنه لو لم يقل « غير مفسدها » لعيب .

وقد استشهد الجاحظ بهذا البيت على « إصابة المقدار » ، وهو عند المتأخرين الاحتراس .

٦ — المبالغة :

وهى التى سماها ابن المعتز « الإفراط فى الصفة » ، وقد شاعت تسمية قدامة (المبالغة) لأنها أخف وأعرف ، ومن البلاغيين من سمى هذا النوع « التبليغ » .

وهى من نعوت المعانى عند قدامة ، ومعناها : أن يذكر الشاعر حالا من الأحوال فى شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك فى الغرض الذى قصده فلا يقف حتى يزيد فى معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ فيما قصد[1] .

٧ — التكافؤ :

وهو أن يصف الشاعر شيئاً أو يذمه ويتكلم فيه أى معنى كان ، فيأتى بمعنيين متكافئين[2] .

والذى أريد بقولى « متكافئين » فى هذا الموضع أى متقابلين ، إما

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٦ (٢) المصدر السابق ص ١٤٧

من جهة المصادرة ، أو السلب والإيجاب ، أو غيرهما من أقسام التقابل مثل قول أبي الشعب العبسي :

حلو الشمائل وهو مر باسل يحمى الذمار صبيحة الإرهاق

فقوله «مر» و «حلو» تكافؤ ، وهذا هو معنى الطباق الذى ذكره ابن المعتز ، فأطلق عليه قدامة «التكافؤ» وهى تسمية انفرد بها من بين سائر البلاغيين ، أما المطابقة فقد أطلقها على الجناس التام أو الحقيقى ، أما الجناس عند قدامة فهو خاص بما جاء من الألفاظ على جهة الاشتقاق وحده ، وهو متابع لثعلب فى إطلاق اسم «المطابق» على الجناس .

٨ — الالتفات :

هو من نعوت المعانى عند قدامة ، وقد عرفه بقوله : «هو أن يكون الشاعر آخذا فى معنى ، فكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظن بأن رادا يرد عليه ، أو سائلا يسأله عن سببه ، فيعود راجعاً إلى ما قدمه ، فإما أن يذكر سببه أو يحل الشك فيه»[1] .

ومن أمثلته التى ذكرها قدامة قول الرماح بن ميادة :

فلا صرمه يبدو وفى اليأس راحة
ولا وصله يبدو لنا فنكارمه

فكأنه وهو يقول : «وفى اليأس راحة» التفت إلى المعنى ، لتقدير أن معارضاً يقول له : ما تصنع بصرمه ؟ فقال : لأن فى اليأس راحة .

وقدامة مسبوق إلى هذا النوع بالأصمعى الذى اقترح هذا المصطلح وابن المعتز الذى جعله على نوعين كما سبق ، وتعريف قدامه قريب من تعريف ابن المعتز أو هو أعم منه .

(١) نقد الشعر ص ١٥٠

٩ — المساواة :

هي من نعوت ائتلاف اللفظ مع المعنى ، ومعناها : « أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه »[1] .

وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتاب رجلا فقال : كانت ألفاظه قوالب لمعانيه ، أي مساوية لها لا يفضل أحدهما على الآخر .

وقد أشار إليها الجاحظ حين قال : « حق المعنى أن يكون الاسم له طبقا وتلك الحال له وفقا ، ويكون الاسم له لا فاضلا ولا مفضولا »[2] ، وهي وسط بين الإيجاز والإطناب .

وقد مثل لها بقول زهير :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وقول طرفة :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

١٠ — الإشارة :

هي أن يكون اللفظ القليل مشتملا على معان كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدل عليها ، كما قال بعضهم .

وقد وصف البلاغة فقال : هي لمحة دالة ، ومثال ذلك قول امرىء القيس :

فإن تهلك شنوءة أو تبدل … فسيرى إن في غسان خالا
لعزهم عززت وإن يذلوا … فذلهم أنالك ما أنا لا

(١) المصدر السابق ص ١٥٣ (٢) البيان والتبيين ٩٣/١

فهذه الألفاظ مع قصرها قد أشير بها إلى معان طوال[1] وهذا هو معنى الإيجاز المحمود عندهم .

فقدامة مسبوق إلى هذا النوع ، فقد ورد على لسان ابن المقفع ت ١٤٣ هـ حين سئل ما البلاغة ؟ فقال : « البلاغة اسم جامع لمعان تجرى فى وجوه كثيرة منها . فمنها ما يكون فى السكوت ، ومنها ما يكون فى الاستماع ، ومنها ما يكون فى الإشارة .... فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحى فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة »[2]، وقال خلف الأحمر ت ١٨٠ هـ : « البلاغة لمحة دالة »[3] .

وقال الجاحظ : « ومما مدحوا به الإيجاز والكلام الذى هو كالوحى والإشارة قول أبى دؤاد الإيادى :

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحى الملاحظ خيفة الرقباء

فمدح كما ترى الإطالة فى موضعها ، والحذف فى موضعه »[4] ومن الإشارة الإيماء الذى تحدث عنه المبرد فقال « من كلام العرب الاختصار المفهم ، والإطناب المفخم ، وقد يقع الإيماء إلى الشىء ، فيغنى عند ذوى الألباب عن كشفه ، كما قيل : لمحة دالة »[5] .

١١ — الإرداف :

هو من نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى عند قدامة[6] ، ومعناه . أن

---

(١) نقد الشعر ص ١٥٥ (٢) البيان والتبيين ١١٦/١
(٣) العمدة لابن رشيق ٢٤٢/١
(٤) البيان والتبيين ١٥٥/١
(٥) رغبة الآمل من كتاب الكامل ١٢٢/١
(٦) نقد الشعر ص ١٥٧

يريد الشاعر دلالة على معنى من المعانى ، فلا يأتى باللفظ الدال على ذلك المعنى ، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع ، ومن أمثلة الإرداف قول امرىء القيس :

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها
نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل[١]

وشواهد الأرداف عند قدامة هى شواهد الكناية عند متأخرى البلاغيين ، مما يدل على أن المراد بهما واحد ، وإن اختلفت التسمية ، وقدامة أول من أطلق كلمة « الإرداف » على هذا النوع ، وهو « التتبيع » عند ابن رشيق[٢] .

وإذا كان الإرداف بمعنى الكناية ، فقد سبقه إلى الكناية الخليل والأصمعى وأبو عبيدة والجاحظ وابن قتيبة والمبرد وابن المعتز ، وإن كان قدامة قد توسع فى ذكر الأمثلة وتحليلها على نحو فريد يحسب له ففى قول امرىء القيس :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

يقول قدامة : « إنما أراد أن يصف هذا الفرس بالسرعة ، وأنه جواد ، فلم يتكلم باللفظ بعينه ، ولكن بأردافه ولواحقه التابعة له ، وذلك أن سرعة إحضار الفرس يتبعها أن تكون الأوابد وهى الوحوش كالمقيدة له إذا نحا فى طلبها . والناس يستجيدون لامرىء القيس هذه اللفظة ، فيقولون : هو أول من قيد الأوابد ، وإنما عنى بها الدلالة على جودة الفرس وسرعة حضره ، فلو قال ذلك بلفظه لم يكن عند الناس من الاستجادة ما جاء من إتيانه بالردف له »[٣] .

---

(١) نقد الشعر ص ١٥٨ (٢) العمدة لابن رشيق ١/٣١٣
(٣) نقد الشعر ص ١٥٨

١٢ — التمثيل :

من نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى التمثيل . وهو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاما يدل على معنى آخر ، وذلك المعنى الآخر والكلام ينبئان عما أراد أن يشير إليه [١] . كقول الرماح بن ميادة :

ألم تك فى يمنى يديك جعلتنى فلا تجعلنى بعدها فى شمالكا

فعدل أن يقول فى البيت المذكور إنه كان عنده مقدماً فلا يؤخره ، أو مقربا فلا يبعده أو مجتبى فلا يجتنبه إلى أن قال : إنه كان فى يمنى يديه فلا يجعله فى اليسرى ، ذهاباً نحو الأمر الذى قصد الإشارة إليه بلفظ ومعنى يجريان مجرى المثل له والإبداع فى المقالة .

وقدامة مسبوق إلى هذا النوع، فقد ذكره الخليل باسم المثل . يقول : ومن أمثالهم : الرائد لا يكذب أهله ، يضرب مثلا للذى لا يكذب إذا حدث »[٢] . فالمثل هنا بمعنى القول السائر المشبه مضربه بمورده ، وهو من قبيل الاستعارة التمثيلية عند المتأخرين .

وقد عرض له أبو عبيدة فى مواضع كثيرة ، ففى تأويل قوله تعالى : « ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها »[٣] يقول : « مثل يقال لكل مبتلى بعد عافية أو ساقط فى ورطة بعد سلامة ، ونحو ذلك : زلت قدمه »[٤] . ويقول أيضا : « يقال : رب صلف تحت الراعدة : وذلك إذا كان رعد بلا مطر ، ويضرب مثلا للذى يتكلم بلا فعل »[٥] .

---

(١) المصدر السابق ص ١٥٩ ، ١٦٠

(٢) معجم العين ٦٣/٨

(٣) سورة النحل/٩٤

(٤) مجاز القرآن ٣٦٧/١

(٥) النقائض ٥٩٤/٢

وفى قول جرير :

بنت لى يربوع على الشرف العلى دعائم زادت فوق ذرع الدعائم

يقول أبو عبيدة : « الدعائم : دعائم البيوت ، وإنما ضربه مثلا للشرف »[1] .

ووردت كلمة « المثل » عند الجاحظ بمعنى المجاز[2] ، ووردت أيضاً بمعنى التشبيه على اختلاف أحواله[3] وقد سبق ذكر شىء من ذلك فى الحديث عن الجاحظ .

ويقول المبرد تعليقا على قول القتال الكلابى :

طوال أنضية الأعناق لم يجدوا ريح الإماء إذا راحت بأزفار

« قوله : طوال أنضية الأعناق : ضربه مثلا . وإنما أراد : طوال الأعناق »[4] .

فقدامة مسبوق إلى هذا النوع بغيره من العلماء السابقين على نحو ما ذكرت .

١٣ — المطابق :

١٤ — المجانس :

يقول قدامة : « وقد يضع الناس من صفات الشعر المطابق والمجانس ، وهما داخلان فى باب ائتلاف اللفظ والمعنى » وهذا يدل على أن قدامة نقل هذين النوعين عن غيره من العلماء كالخليل والأصمعى وابن المعتز .

ومعناهما عند قدامة : أن تكون فى الشعر معان متغايرة قد اشتركت فى لفظة واحدة ، وألفاظ متجانسة مشتقة ، فأما المطابق : فهو ما يشترك فى لفظة واحدة بعينها مثل قول الأفوه الأودى :

---

(١) النقائض ٧٥٧/٢ (٢) الحيوان ٧٤/٥

(٣) الحيوان ٢١٣/٦ (٤) رغبة الآمل ٨١٢/١

وأقطع الهوجل مستأنساً ... بهوجل عيدانة عنتريس[1]

فلفظة « الهوجل » فى هذا البيت واحدة ، قد اشتركت فى معنيين ؛ لأن الأولى بمعنى الأرض . والثانية بمعنى الناقة .

وأما المجانس : فهو أن تكون المعانى اشتراكها فى ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق . كقول حيان بن ربيعة الطائى :

لقد علم القبائل أن قومى ... لهم حد إذا لبس الحديد[2]

فهو يطلق على الأول الذى يقع الاشتراك فيه فى لفظه واحدة بعينها « المطابق » ، ويطلق على ما كان بين المشتقات إسم « الجناس » ، وهو متابع فى هذا الصنيع لأبى العباس ثعلب الذى يسمى أنواع الجناس كلها « المطابق » .

١٥ — الترصيع :

هو من نعت الوزن . ومعناه : « أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء فى البيت على سجع أو شبيه به ، أو من جنس واحد فى التصريف » [3] كقول زهير :

كبداء مقبلة وركاء مدبرة
قوداء فيها إذا استعرضتها خضع

وإنما يحسن الترصيع إذا اتفق له فى البيت موضع يليق به ، فإنه ليس فى كل موضع يحسن ، ولا على كل حال يصلح ، ولا هو أيضاً إذا تواتر واتصل فى الأبيات كلها بمحمود ، فإن ذلك إذا كان دل على تعمد ، وأبان عن تكلف . فالترصيع الحسن هو الذى يجىء مطبوعاً لا تكلف فيه .

---

(١) نقد الشعر ص ١٦٢
(٢) المصدر السابق ص ١٦٣ ... (٣) نقد الشعر ص ٨٠

وليس معنى هذا أن الترصيع خاص بالشعر، فإنه يأتى فى النثر أيضاً، وهذا هو الاصل فيه، حيث «تكون الألفاظ متساوية البناء، متفقة الانتهاء، سليمة من عيب الاشتباه وشين التعسف والاستكراه، يتوخى فى كل جزأين منها متواليين أن يكون لهما جزآن متقابلان يوافقانهما فى الوزن، ويتفقان فى مقاطع السجع من غير استكراه ولا تعسف كقول بعضهم: حتى عاد تعريضك تصريحاً، وصار تمريضك تصحيحاً، فهذا أحسن المنازل»[1].

وقدامة مسبوق إلى هـــذا اللون بالجاحظ الذى تحدث عن السجع والازدواج كما ذكرت آنفاً.

١٦ — ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت:

وهذا النوع هو الذى أطلق عليه المتأخرون إسم «التمكين»[2]. وهو أن تكون القافية متعلقة بما تقدم من معنى البيت تعلق نظم له وملاءمة لما مر فيه[3].

وقدامة قد استقى كلامه عن جودة القافية وملاءمتها للبيت من قول شبيب بن شيبة الذى رواه الجاحظ وهـــو: «الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه وأنا موكل بتفضيل جودة القطع وبمدح صاحبه، وحظ جودة القافية، وإن كانت كلمة واحدة أرفع من حظ سائر البيت»[4]، كما استفاد أيضاً بقول بشر بن المعتمر: «فإن كانت القافية لم تحل مركزها، وكانت قلقـــة فى مكانها فلا تكرهها على اغتصاب

---

(١) جواهر الألفاظ ص ٣ وقدامة والنقد الأدبى ص ٢١٩

(٢) تحرير التحبير ص ٩٣ (٣) نقد الشعر ص ١٦٧

(٤) البيان والتبيين ١ / ١١٢

الأماكن والنزول فى غير أوطانها » (١) . أما ابن المعتز فلم يتحدث عن هذا النوع فى « البديع » .

١٧ — التوشيح :

من أنواع ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر معنى البيت «التوشيح» وهو « أن يكون أول البيت شاهداً بقافيته ، ومعناها متعلقاً به ، حتى إن الذى يعرف قافية القصيدة إذا سمع أول البيت منها عرف آخره ، وبانت له قافيته » (٢) .

وقد ذكر قدامة للتوشيح أمثلة كثيرة منها قول الراعى :

وإن وزن الحصى فوزنت قومى
وجدت حصى ضريبتهم رزينا

فإذا سمع الإنسان أول هذا البيت استخرج منه لفظ قافيته ، لأنه يعلم أن قوله « وزن الحصى » سيأتى بعده « رزين » لعلتين :

إحداهما : أن قافية القصيدة توجبه .

والأخرى : أن نظام المعنى يقتضيه ؛ لأن الذى يفاخره برجاحة الحصى يلزمه أن يقول فى حصاه إنه رزين (٣) . فأول البيت يدل على آخره ، ويشهد بقافيته .

ولقب « التوشيح » مأخوذ من تعطف أثناء الوشاح بعضها على بعض ، وجمع طرفيه . وهو موجود فى كلام المتقدمين ، وإن لم يطلقوا عليه هذا الاسم . فقد روى أن عدى بن الرقاع أنشد فى صفة الظبية وولدها :

---

(١) المصدر السابق ١/١٣٨ (٢) نقد الشعر ص ١٦٧
(٣) المصدر السابق ص ١٦٧

تزجى أغن كأن إبرة روقه

فغفل الممدوح عنه فسكت . فقال الفرزدق لجرير : ماتراه يقول ؟
فقال جرير : يقول :

قلم أصاب من الدواة مدادها

وأقبل عليه الممدوح ، فأنشد كما قال جرير ، لم يغادر حرفاً[١] .

وورد على لسان ابن المقفع فى قوله : « وليكن فى صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أن خـــير أبيات الشعر البيت الذى إذا سمعت صدره عرفت قافيته »[٢] .

وورد على لسان الخليل ت ١٧٥ هـ ، حين قال : « أشعر بيت : البيت الذى يكون فى أوله دليل على قافيته » . فجاء قدامة وأطلق عليه اسم « التوشيح » ، وكذلك أبو هلال العسكرى[٣] ، وسمى بعد ذلك بالتسهيم ، والذى سماه بذلك على بن هارون المنجم ، وأما ابن وكيع ت ٣٩٣ هـ فسماه « المطمع »[٤] ، وبعد ذلك سماه ابن الأثير « الإرصاد »[٥] . وكذلك الخطيب القزوينى ويحى العلوى[٦] .

١٨ — الإيغال :

هو من أنواع ائتلاف القافية مع سائر معنى البيت ، ومعناه عند قدامة : « أن يأتى الشاعر بالمعنى فى البيت تاماً من غير أن يكون للقافية

---

(١) العمدة لابن رشيق ٣٣/٢ . (٢) البيان والتبيين ١١٦/١ .
(٣) الصناعتين ص ٣٨٢ . (٤) العمدة ٣١/٢ .
(٥) المثل السائر ٢٠٦/٣ .
(٦) الإيضاح ٢١/٤ ، والطراز ص ٣٥٥ .

فى ماذ كره صنع ، ثم يأتى بها الحاجة الشعر فيزيد بمعناها فى تجويد ماذ كره من المعنى فى البيت »[1] .

ومثال ذلك قول امرىء القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنا
وأرحلنا الجـزع الذى لم يثقب

فقد أتى امرؤ القيس على التشبيه كاملا قبل القافية ، وذلك أن عيون الوحش شبيهة به ، ثم لما جاء بالقافية أوغل بها فى الوصف ، ووكده ، وهو قوله « الذى لم يثقب » ، فإن عيون الوحش غير مثقبة ، وهى بالجزع الذى لم يثقب أدخل فى التشبيه[2] .

يقول قدامة : « ومما يدل على أن المعانى كانت فى نفوس الناس قديما أن أباالعباس المبرد قال : حدثنى التوزى قال : قلت للأصمعى : من أشعر الناس ؟ فقال : من يأتى إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيراً ، أو إلى الكبير فيجعله خسيساً ، أو ينقضى كلامه قبل القافية ، فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى . قال : قلت نحو من ؟ قال : نحو ذى الرمة حيث يقول :

قف العيس فى أطـلال مية فاسأل
رسوماً كأخـلاق الرداء المسلسل

فتم كلامه قبل المسلسل ، ثم قال المسلسل فزاد شيئاً . ثم قال :

أظن الذى يجدى عليك سؤالها
دموعاً كتبديد الجمان المفصل

فتم كلامه . ثم احتاج إلى القافية فقال « المفصل» فزاد شيئا ... »[3]

---

(١) نقد الشعر ص ١٦٨ . (٢) نقد الشعر ص١٦٨ .
(٣) نقد الشعر ص ١٦٩ .

وقد سبقت الإشارة إلى الفرق بين الإيغال والتتميم وأن التتميم يأتى إلى المعنى قبل تمامه فيتممه، وأما الإيغال فلا يرد إلا عـلى المعنى التام، فيزيده تماماً، ويفيد فيه معنى زائداً — ثم إن الإيغال فى القافية لا يعدوها، والتتميم يكون فى الفواصل والمقاطع كما يكون فى حشو البيت، وليس الإيغال خاصاً بالشعر، فإنه يأتى فى الشعر والنثر معا .

١٩ — الاستعارة :

جاء حديث قدامة عن « الاستعارة » عرضاً ، فى أثناء حديثه عن المعاظلة حيث فسرها بفاحش الاستعارة . والمعاظلة من عيوب اللفظ عنده ، وقد وردت هذه الكلمة فى قول عمر رضى الله عنه يصف زهير ابن أبى سلمى بأنه « كان لا يعاظل فى الكلام » يقول قدامة : « وسألت أحمد بن يحيى عن المعاظلة فقال : مداخلة الشىء فى الشىء . يقال : تعاظلت الجرادتان ، وعاظل الرجل المرأة إذا ركب أحدهما الآخر وإذا كان الأمر كذلك فمن المحال أن تنكر مداخلة بعض الكلام فيما يشبهه من وجه أو فيما كان من جنسه ، وبقى النكير هو أن يدخل بعضه فيما ليس من جنسه ، وما هو غير لائق به ، وما أعرف ذلك إلا فاحش الاستعارة »[1].

يريد قدامة أن يقول إن الكلام لا يكون إلا تركيباً ، ولا بد فى التركيب من ضم لفظ إلى لفظ ، وبناء كلمة على كلمة ، ولا عيب فى هذا التداخل إذا كان اللفظ مركبا مع شبيهه أو مجاوراً لمشاكله ، لوجود التجانس فى نسيج الكلام شعرا كان أو نثرا .

ولكن العيب — عند قدامة — أن يوضع اللفظ فى موضع لا يليق به حيث يدخل فيما ليس من جنسه ، أو فيما لا ترب طه به علاقة . « وهذه المداخلة

---

(١) نقد الشعر ص١٧٤

القبيحة أو المماظلة لا تكون إلا فى فاحش الاستعارة ، مثل قول أوس ابن حجر :

وذات هـــدم عار نواشرها　　　تصمت بالماء تولبا جدعاً

فسمى الصبى تولباً . وهو ولد الحمار ، فالصلة بين الصبى والتولب بعيدة وكقول الآخر :

وما رقد الولدان حتى رأيته　　　على البكر يمريه بساق وحافر

فسمى رجل الإنسان حافراً ، وما جرى هذا المجرى من الاستعارة قبيح لاعذر فيه »[1] .

ويعترف قدامة بأن هذا البعد فى الاستعارة قد جاء كثيرا فى الشعر العربى وكان مقبولا من الشعراء المجيدين ، حيث كان مخرجها مخرج التشبيه فمن ذلك قول امرىء القيس :

فقلت له لمـــا تمطى بصلبه　　　وأردف أعجازاً وناء بكلكل

كأنه أراد أن هـذا الليل فى تطاوله كالذى يتمطى بصلبه ، لا أن له صلباً ، وهذا مخرج لفظه إذا تؤمل . ومنه قول زهير :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله
وعرى أفراس الصبا ورواحله

فكأن مخرج كلام زهير إنما هو مخرج كلام من أراد أنه كما أن الأفراس للحرب ، وإنما تعرى عند تركها ووضعها ، فكذلك تعرى أفراس الصبا إن كانت له أفراس عند تركه والعزوف عنه . وكذلك قول طفيل الغنوى :

---

(١) نقد الشعر / ١٧٥

وحملت كورى فوق ناجية   يقتات شحم سنامها الرحل

وقول أبي ذؤيب الهذلي :

وإذا المنية أنشبت أظفارها   ألفيت كل تميمة لا تنفع

فما جرى هذا المجرى مما له مجاز كان أخف وأسهل مما لخش ، ولم يعرف له مجاز ، وكان منافراً للعادة بعيداً مما يستعمل الناس مثله[1] .

ومعنى ذلك أن العلاقة بين الطرفين المستعار منه والمستعار له ينبغى أن تكون واضحة جلية ، كالمشابهة بين الشجاع والأسد فى الشجاعة ، والبحر والكريم فى الكرم . أما إطلاق لفظ « تولب » على صبى آدمى ففيه بعد وغموض ؛ لعدم القرينة التى تدل على إرادة التشبيه .

٢٠ — التصريع :

هو من نعت القوافى . ومعناه عند قدامة : « أن تقصد لتصيير مقطع المصراع الأول فى البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها »[2] وتلك ظاهرة شعرية قديمة، و تقليد جرى عليه معظم الشعراء فى كل العصور «فإن الفحول والمجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك ولا يكادون يعدلون عنه وربما صرعوا أبياتا أخر من القصيدة بعد البيت الأول وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره ، وأكثر من كان يستعمل ذلك امرؤ القيس لمحله من الشعر . فمن ذلك قوله :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ثم أتى بعد ذلك بأبيات فقال :

---

(١) المصدر السابق / ١٧٦ ، ١٧٧

(٢) نقد الشعر / ٨٦

أفاطم مهلا بعض هـــذا التدلل
وإن كنت قد أزمعت صرمى فأجملى

ثم أتى بأبيات بعد هذا البيت فقال :

ألا أيها الليل الطويـل ألا انجلى
بصبح وما الإصباح منك بأمثل[١]

وقال فى قصيدة أخرى مطلعها :

ألا انعم صباحاً أيها الطلل البالى
وهل ينعمن من كان فى العصر الخالى

وقال بعد بيتين :

ديار لسلمى عافيات بذى الخال — ألح عليها كل أسحم هطال

ثم قال بعد أبيات أخرى :

ألا إننى بال على جمل بالى — يقود بنا بال ويتبعنا بالى[٢]

وقد سلك هذا السبيل غير امرىء القيس شعراء كثيرون ، فمنهم أوس ابن حجر والمرقش وحسان بن ثابت والشماخ بن ضرار وعبيد بن الأبرص والراعى النميرى[٣] .

وربما أغفل بعض الشعراء التصريع فى البيت الأول فأتى به فى بعض من القصيدة فيما بعد قال عمرو بن أحمر الباهلى قصيدة أولها :

قـــد بـكرت عاذلتى بـكرة — تزعم أنى بالصبا مشتهر

---

(١) المصدر السابق / ٨٦
(٢) المصدر السابق / ٨٧
(٣) المصدر السابق / ٨٨، ٨٩

فلم يصرع أول القصيدة ، وأتى ببيتين بعد الأول ثم قال :

بل ودعيني طفل إني بكر فقد دنا الصبح فما انتظر

وهو يمدح التصريع في كل الأحوال ، ويجعله من علامة الفحولة وآية الاقتدار « وإنما يذهب الشعراء المطبوعون المجيدون إلى ذلك ، لأن بنية الشعر إنما هي التسجيع والتقفية ، فكلما كان الشعر أكثر اشتمالا عليه كان أدخل له في باب الشعر . وأخرج له عن مذهب النثر »[1] .

وهذا النوع ليس من ابتكار قدامة ، بل هو من ابتكار الخليل بن أحمد واضع علم العروض يقول الخليل : « صرعت الباب والشعر تصريعاً . والمصراعان من الشعر : ما كان قافيتان في بيت »[2] والتصريع والتقفيه عنده بمعنى واحد وهو أن يتساوى العروض والضرب وزنا ورويا وإعراباً ، وكان الشعراء يعدون التصريع من محسنات الكلام ، ولذلك قال أبو تمام :

وتقفولى الجدوى بجدوى وإنما
يروقك بيت الشعر حين يصرع[3]

• • •

إن الذي يقرأ « نقد الشعر » لقدامة يدرك مدى طغيان الروح العلمي واستبداد المنطق بعقل مؤلفه ، فهو يتحدث في قضايا الشعر والأدب بحدود المنطق وضوابطه ، وفي ذلك ما فيه من تضييق الواسع ، فالأدب لغة العاطفة والخيال ، وهو لذلك لا يتقيد بحدود العقل وقوانين المنطق في أغلب الأحيان ، لأن القيود تحد من قدرة الأديب على الإبداع ،

---

(١) نقد الشعر / ٩٠ (٢) العين ١/٢٩٩ (صرع)
(٣) الصبغ البديعي ص ١٥٦

والانفلات من حدود الزمان والمكان إلى عالم أرحب وأوسع، والانطلاق من عالم الواقع الملموس إلى أفق الخيال الرحب الفسيح .

ولست الآن بصدد تقويم الكتاب أو إصدار حكم عليه ، فقد قال العلماء كلمتهم فيه حين انبرى الآمدى للطعن على قدامة فى كتابه « تبيين غلط قدامة بن جعفر فى نقد الشعر »[١] ووضع عبد اللطيف البغدادى كتابين للدفاع عن قدامة ، أحدهما سماه « تكملة الصناعة فى شرح نقد قدامة » والآخر « كشف الظلامة عن قدامة »[٢] .

وإنما الذى يعنينى — فى المقام الأول — هو بيان أنواع « البديع » فى نقد الشعر بعد هذا الاهتمام الكبير من قدامة بوضع الألقاب وتحديد المصطلحات ، وولوعه باستنباط ألوان جديدة أو مخالفة المتقدمين فى تسمية بعض وجوه البديع كالتكافؤ الذى هو الطباق عند ابن المعتز وغيره من المتقدمين والمتأخرين .

وإذا كان ابن المعتز قد جمع من أنواع البديع ثمانية عشر نوعاً تمثل وجوه الحسن البيانى الذى وقف عليه فى كلام السابقين ، فإن قدامة بن جعفر قد توارد معه على سبعة أنواع هى : الاستعارة والجناس والطباق والالتفات والاعتراض والإفراط فى الصفة (المبالغة عند قدامة) والتشبيه .

وانفرد قدامة بهذه الوجوه التى أضافها إلى بديع ابن المعتز وهى : صحة التقسيم وصحة المقابلة وصحة التفسير والمساواة والإشارة والإرداف والتمثيل والتوشيح والإيغال والترصيع واشتقاق لفظ من لفظ والسجع وائتلاف القافية مع البيت (التمكين) .

---

(١) بغية الوعاة للسيوطى / ٢١٨

(٢) كشف الظنون ٢ / ٦١٢

فهذه ثلاثة عشر نوعا أضافها قدامة إلى بديع ابن المعتز ، وأما التكافؤ عنده فهو الطباق عند ابن المعتز، كما سبق القول .

وبذلك يكون مجموع ما توصلا إليه من فنون البديع واحداً وثلاثين نوعا هي التي جمعها ابن المعتز فى « البديع » وقـــدامة فى « نقد الشعر » ، واستمر تدفق البحث البلاغى فى القرن الرابع ، ليضيف المزيد إلى وجوه البديع الذى غرست بذوره على يد الأصمعى والجاحظ، ونما غرسه فأصبح علماً على يد ابن المعتز، وقدامة ، وسيواصل البديع نموه فى هذا القرن ، ليصبح شجرة وارفة الظلال على يد أبى هلال فى الصناعتين » .

ولكنه مازال بمعناه الذى عرفناه عند علماء القرن الثانى والثالث الهجريين ، فهو مرادف للبلاغة ، ولذلك وجدنا قدامة يتحدث فى نقد الشعر عن بعض أبواب المعانى ومباحثه كالإشارة (الإيجاز) والمساواة والتتميم والإيغال ، كما يذكر بعض مباحث علم البيان فى عرف المتأخرين كالتشبيه والاستعارة والتمثيل والإرداف (الكناية) . أما بقية الوجوه فهى من فنون البديع بمفهومه عند المتأخرين . وهذا يؤكد أن البديع ظل خلال تلك الحقبة بمعناه العام الذى يشمل كل وجوه البلاغة وفنونها ، غير أن البحث فيه يتطور بمرور الزمان ، فبعد أن كان الأوائل يذكرون الشواهد دون عناية بوضع المصطلح المناسب أصبح وضع المصطلحات سمة مميزة عند ابن المعتز ، وقدامة ، وإن كان قدامة قد أربى على ابن المعتز فى حصـــر الأقسام واستقصاء الفروع وتحليل الشواهد والتعليق عليها .

• • •

البديع فى كتاب الصناعتين :

لقد كان لكتابى «البديع» و«نقد الشعر» أثر عظيم فى توجيه الفكر البلاغى وتنمية بحوث البديع ، ويظهر أثرهما واضحاً فى كتاب «الصناعتين» لأبى هلال العسكرى ت ٣٩٥هـ فهو يسلك مسالكهما فى حصر وجوه البديع وتسمية مصطلحاته وذكر شواهده من الشعر والنثر على حد سواء ، وهو يأخذ عن قدامة آراءه فى المدح بالفضائل النفسية ، والهجاء بسلبها ، وينقل كلامه فى الوصف والتشبيه والرثاء ، مع الأمثلة أيضا ، وإن كان لم ينسب هذه الأقوال إلى صاحبها فى تلك المواضع كما تقتضى أمانة العلم .

وفى مقدمة الكتاب يشير إلى أهمية علم البلاغة ومنزلته بين علوم العربية وفائدته فى التعريف بإعجاز القرآن وتربية الملكات الصحيحة للقول والاختيار ، فالحاجة إليه ماسة والكتب المصنفة فيه قليلة ، وكان أكبرها وأشهرها «البيان والتبيين» للجاحظ ، وهو كثير الفوائد جم المنافع كما يقول أبو هلال ، إلا أن الإبانة عن حـــدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة فى تضاعيفه ، ومنتشرة فى أثنائه ، فهى ضالة بين الأمثلة لا توجد إلا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير ، ولذلك رأى أبو هلال أن يضع كتاب «الصناعتين» مشتملا على جميع ما يحتاج إليه فى صنعة الكلام نثره ونظمه ، ويستعمل فى محلوله ومعقوده من غير تقصير وإخلال ، وأسهاب وإهذار[1] . هذا هو الحافز على تأليفه لكتابه ، حتى يتدارك ما وجده فى كتب السابقين من تطويل وخلط بين المسائل ، أو تشتيت للفكرة الواحدة فى مواضع شتى يضيع معها الجهد والوقت .

وقد وضع أبو هلال كتابه فى «عشرة أبواب» تشتمل على ثلاثة وخمسين فصلا ، والذى يعنينا من هذا الكتاب الباب التاسع فى شرح البديع

---

(١) كتاب الصناعتين ص ١٠ ، ١١ ط دار الفكر العربى

والإبانة عن وجهه وحصر أبوابه وفنونه ، وهو يعالج وجوه البديع مستقلة عن غيرها من قضايا الأدب والنقد ، ثم إنه تحدث عن التشبيه حديثاً مستقلا فى الباب السابع ، وهذا يعنى أن التشبيه عند أبى هلال ليس من فنون البديع ، بينما جعله ابن المعتز من محاسن الكلام التى لا يضن عليها باسم « البديع » ، كما جعله قدامة من « البديع » .

كذلك تحدث أبو هلال عن « السجع والازدواج » فى « الباب الثامن » ومعنى ذلك أنه لا يجعل « السجع والازدواج » من « البديع » مخالفاً قدامة فى هذا النوع .

وها هى ذى وجوه البديع عند أبى هلال العسكرى بنفس الترتيب الذى عرضها به :

١ — الاستعارة والمجاز :

بدأ بتعريف الاستعارة فقال : « الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها فى أصل اللغة إلى غيره لغرض » ثم أبان هذه الأغراض فقال : « وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه ، أو تأكيده والمبالغة فيه ، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ ، أو تحسين المعرض الذى يبرز فيه . وهذه الأوصاف موجودة فى الاستعارة المصيبة »[1] .

ولا بد أن تتضمن الاستعارة مزية لا تكون فى الحقيقة ، ولولا ذلك لكانت الحقيقة أولى منها بالاستعمال ؛ لأنها الأصل الذى تفرعت عنه الاستعارة .

ثم يوازن بين الحقيقة والاستعارة ؛ ليبين فضل الاستعارة فيقول :

---

(١) الصناعتين ٢٧٤ .

« والشاهد على أن للاستعارة المصيبة من الموقع ما ليس للحقيقة أن قوله الله تعالى : « يوم يكشف عن ساق » أبلغ وأحسن وأدخل مما قصد له من قوله لو قال : يوم يكشف عن شدة الأمر .

وإن كان المعنيان واحداً ، ألا ترى أنك تقول لمن تحتاج إلى الجد فى أمره : شمر عن ساقك فيه ، واشدد حيازيمك له ، فيكون هذا القول منك أوكد فى نفسه من قولك : جد فى أمرك .

والجديد فى تعريفه للاستعارة هو بيانه لأغراض النقل من شرح المعنى وتوضيحه أو توكيده أو المبالغة بإدخال المشبه فى جنس المشبه به ، أو الاقتصاد فى الكلام بالإشارة إلى المعنى الكثير باللفظ القليل ، أو إبرازه فى معرض حسن .

وقد جعل أبو هلال عنوان هـذا الفصل من « الصناعتين » : « الاستعارة والمجاز » ، إلا أنه لم يتحدث فيه عن المجاز بشيء ، بل انصب حديثه على الاستعارة . ولم نجد له من حديث عن المجاز إلا قوله : « ولابد لكل استعارة ومجاز من حقيقة ، وهى أصل الدلالة على المعنى فى اللغة »(١) ويمكننا أن نستنبط من ذلك أن المجاز والاستعارة عنده كلمتان مترادفتان ، كما هو الحال عند كثير من السابقين ، ويعزز هذا الرأى أن أبا هلال مثل للاستعارة بفيض من الأمثلة يشمل كل أنواع المجاز اللغوى من استعارة ومجاز مرسل وكذلك أورد بعض أمثلة التشبيه البليغ والمجاز العقلى ضمن شواهد الاستعارة .

وإذا كان تعريف أبى هلال للاستعارة قد خلا من ذكر القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقى فإنه قد تحدث عن العلاقة المصححة

---

(١) المصدر السابق ٢٧٦ .

للاستعارة فى قوله : « ولابد من معنى مشترك بين المستعار منـــه والمستعار له »[١] . ثم أخذ يطبق كلامه على كثير من الشواهد كقول امرىء القيس :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها
بمنجرد قيـــد الأوابد هيكل

والحقيقة : مانع الأوابد من الذهاب والإفلات . والاستعارة أبلغ ؛ لأن القيد من أعلى مراتب المنع من التصرف ؛ لأنك تشاهد ما فى القيد من المنع فلست تشك فيه . والمعنى المشترك بين قيد الأوابد ومانع الأوابد هو الحبس وعدم الإفلات[٢] .

وقد اهتم أبو هلال بذكر المعنيين الحقيقى والمجازى والموازنة بينهما على طريقة الرمانى ليصل إلى أن الاستعارة أبلغ .

ولذلك يقول فى بيت امرىء القيس السابق : « والاستعارة أبلغ لأن القيد من أعلى مراتب المنع من التصرف ، لأنك تشاهد ما فى القيد من المنع فلست تشك فيه وللعيان فضل على ما سواه » ، فهذه الاستعارة قد أبرزت المعقول فى صورة المحسوس الذى تراه العين ، وهذا مما يقرب المعنى من الأذهان كما أنه يكسب الصورة حسناً ويزيدها تأثيراً .

وفى قوله تعالى : « واشتعل الرأس شيباً » . يقول : « حقيقية : كثر الشيب فى الرأس وظهر ، والاستعارة أبلغ ؛ لفضل ضياء النـار على ضياء الشيب ، فهو إخراج الظاهر إلى ماهو أظهر منه ، ولأنه لايتلافى

---

(١) كتاب الصناعتين ٢٧٧ .

(٢) المصدر السابق ٢٧٧ .

انتشاره في الرأس ، كما لا يتلافى اشتعال النار »[١] .

وعلى هذا النحو يمضي أبو هلال في مبحث الاستعارة ، وتحليل شواهدها القرآنية والشعرية وفي بيان الأثر النفسي لها ، فالاستعارة تفعل في النفس ما لا تفعل الحقيقة ، وهو يقتفي أثر الرماني في تحليل الاستعارات وبيان الأثر النفسي لها .

والذي يؤخذ على أبي هلال أنه أدخل في الاستعارة ما ليس منها كالمجاز المرسل في قول الشاعر :

إذا نزل السماء بأرض قوم
رعيناه وإن كانوا غضاباً

فإطلاق السماء على المطر مجاز مرسل علاقته المجاورة ، ومنه تسمية النبات نوءاً في قول الشاعر :

وجف أنواء السحاب المرتزق[٢]

وهو مجاز مرسل علاقته السببية . كما جعل من الاستعارة قوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك » ، مع أن الآية الكريمة كناية عن البخل ، والدليل على ذلك أن القرينة هنا لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي . فهذا من الخلط بين الأنواع ، وهو شائع في تلك المرحلة .

---

(١) المصدر السابق ٢٧٨ .
(٢) المصدر السابق ٢٨٣ .

٢ — المطابقة :

يذكر أبو هلال معنى المطابقة فيقول : « قد أجمع الناس على أن المطابقة فى الكلام هى الجمع بين الشىء وضده فى جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو بيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين السواد والبياض ، والليل والنهار ، والحر والبرد »[١] .

ثم يشير إلى خروج قدامة على هذا الإجماع حيث سمى هذا النوع « التكافؤ » . أما المطابقة عنده فهى : إيراد لفظتين متشابهتين فى البناء والصيغة مختلفتين فى المعنى .

كقول زياد الأعجم :

ونبئتهم يستنصرون بكاهل   وللؤم فيهم كاهل وسنام

وأهل الصنعة يسمون النوع الذى سماه المطابقة « التعطف » . قالوا : وهو أن يذكر اللفظ ثم يكرره والمعنى مختلف[٢] .

وهو يبين معنى الطباق فى اللغة . وهو الجمع بين الشيئين ، يقولون : طابق فلان بين ثوبين ، وطابق البعير فى سيره : إذا وضع رجله موضع يده ، وهو راجع إلى الجمع بين الشيئين .

قال النابغة الجعدى :

وخيل يطابقن بالدارعين
طباق الكلاب يطأن الهراسا

---

(١) الصناعتين / ٣١٦ .
(٢) المصدر السابق / ٣١٦ .

وهذا ماذكره الخليل والأصمعى فى معنى الطباق فى اللغة ، لبيان المناسبة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى عند أهل البديع ، ثم يسوق شواهده من القرآن الكريم والحديث الشريف ومن الشعر القديم والحديث ، فمما ورد من الطباق فى القرآن الكريم قوله تعالى : « يولج الليـــل فى النهار ويولج النهار فى الليل » ، وقوله تعالى : « ليخرجكم من الظلمات إلى النور » أى من الكفر إلى الإيمان ، ومما جاء فى كلام النبى ﷺ من الطباق قوله للأنصار « إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع » ، ومن الأشعار فى الطباق قول امرىء القيس :

مكر مفر مقبـــل مدبر معاً
كجلمود صخر حطه السيل من عل[1]

ومن الواضح أنه استفاد كثيراً من كتابى « البديع » و « نقد الشعر » فى إحصاء المصطلحات وسرد الشواهد القرآنية والنبوية والشعرية وتحليلها تحليلا أقرب إلى الذوق العربى دون نزوع إلى تطبيق أصول المنطق على الشواهد الشعرية كما فعل قدامة .

وهو يختم حديثه عن كل لون من البديع بذكر المعيب من شواهده ، فمن عيوب التطبيق قول الأخطل :

قلت المقام وناعب قال النوى فعصيت قولى والمطاع غراب

وهذا من غث الكلام وبارده[2] ، وشواهد أخرى كثيرة أوردها الطباق المعيب .

---

(١) المصدر السابق ص ٣٢١
(٢) الصناعتين / ٣٢٨

٣ ـ التجنيس :

وهو مسبوق إليه بالخليل والأصمعي وابن المعتز ، وقد عرفه بقوله : « التجنيس أن يورد المتكلم فى الكلام القصير نحو البيت من الشعر والجزء من الرسالة أو الخطبة كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها فى تأليف حروفها على حسب ما ألف الأصمعى كتاب الأجناس ، فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى لفظاً واشتقاق معنى ، كقول الشاعر :

يوماً خلجت على الخليج نفوسهم   عصبا وأنت لمثلها مستام

ومنه ما يجانسه فى تأليف الحروف دون المعنى ، كقول الشاعر :

فارفق به إن لوم العاشق اللوم

وأبو هلال لايكتفى بنقل الآراء بل يبدى رأيه فيها ويصحح ما يراه خطأ منها ، فهو يذكر قول زهير :

بعزمة مأمور مطيع وآمر   مطاع فلا يلقى لحزمهم مثل

ويعقب عليه قائلا : « وليس بين المأمور والآمر ، والمطيع والمطاع تجنيس ، لأن الاختلاف بين هذه الكلمات لأجل أن بعضها فاعل وبعضها مفعول به ، وأصلها إنما هو الأمر والطاعة ، وكتاب الأجناس الذى جعلوه لهذا الباب مثالا لم يصنف على هذا السبيل ، ويكون المطيع مع المستطيع ، والآمر مع الأمير تجنيساً »[1] ، أما الآمر والمأمور ، والمطيع والمطاع فليس فيها تجنيس ، وإنما اختلفت هذه الكلم للتصريف .

وهو يذكر أمثلة للتجنيس من القرآن الكريم وكلام النبى ﷺ وأشعار القدماء والمحدثين ، وغالب هذه الأمثلة موجود فى « البديع »

---

(١) المصدر السابق / ٣٣٠

لابن المعتز ونقد الشعر لقدامة ، وهى تشتمل على نوعى الجناس عند المتأخرين وهما الجناس التام وجناس الاشتقاق .

ثم يتحدث عن نوع آخر من الجناس لم يذكره السابقون حيث يقول: « ومن التجنيس ضرب آخر : وهو أن تأتى بكلمتين متجانستى الحروف ، إلا أن فى حروفها تقديماً وتأخيراً كقول أبى تمام :

بيض الصفائح لاسود الصحائف فى
متونهن جلاء الشك والريب[1]

ثم يضيف نوعاً آخر فيقول : « ومن التجنيس نوع آخر يخالف ما تقدم بزيادة حرف أو نقصانه ، وهو مثل قول الله عزوجل : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » وقول النبى ﷺ : « الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة »[2] .

وهو مسبوق إلى تقسيم هذا اللون بالقاضى الجرجانى ت ٣٩١ ﻫ ، فقد أشار فى كتاب الوساطة إلى بعض أقسام الجناس[3] ، ويختم هذا الفصل بما عيب من التجنيس[4] .

٤ — المقابلة :

ومعناها عند أبى هلال : « إيراد الكلام ، ثم مقابلته بمثله فى المعنى أو اللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة . فأما ما كان منها فى المعنى فهو مقابلة الفعل بالفعل كقوله تعالى : « ومكروا مكراً » فالمكر من الله تعالى العذاب ، جعله الله عزوجل مقابلة لمكرهم بأنبيائه وأهل طاعته »[5] .

---

(١) الصناعتين /٣٤٠ (٢) المصدر السابق ٣٤١
(٣) الوساطة ٣٨ ، ٣٩ (٤) الصناعتين ٣٤٣
(٥) المصدر السابق ٣٤٦

ومعنى ذلك أنه يطلق المقابلة فى المعنى على ما عرف عند المتأخرين بالمشاكلة التى هى ذكر الشيء بلفظ غـــيره لوقوعه فى صحبته تحقيقاً أو تقديراً .

وأما مقابلة الألفاظ فمثل قول عدى بن الرقاع :

ولقد تبيت يد الفتاة وسادة   لى جاعلا إحدى يدى وسادها

وهى مقابلة اللفظ باللفظ على جهة الموافقة ، وقد تجيء مقابلة الألفاظ على جهة المخالفة كقول بعضهم : « فإن أهل الرأى والنصح لا يساويهم ذو الأفن والغش ، وليس من جمع إلى الكفاية الأمانة كمن أضاف إلى العجز الخيانة »(١) فجعل بإزاء الرأى الأفن ، وبإزاء النصح الغش ، وقابل العجز بالكفاية ، والأمانة بالخيانة ، فهذه المقابلة على وجه المخالفة أى التضاد .

وهذا هو معنى المقابلة عند المتأخرين كقول الجعدى :

فتى تم فيه ما يسر صديقه   على أن فيه ما يسوء الأعاديا

فقابل السرور بالسوء والصداقة بالعداوة ، على جهة التضاد .

ثم يتحدث عن معيب المقابلة فيقول: « ومن سوء المقابلة قول امرىء القيس :

فـــلو أنها نفس تموت سوية   ولـكنها نفس تساقط أنفسا

إذ ليس « سوية » بموافق « لتساقط » ولا مخالف له ، ولهذا غيره أهل المعرفة فجعلوه « جميعة » لأنه بمقابلة « تساقط » أليق .

وفساد المقابلة — عند أبى هلال — : « أن تذكر معنى يقتضى الحال

---

(١) المصدر السابق ٣٤٧

ذكر ما يوافقه ويخالفه . فيؤتى بما لا يوافق ولايخالف ، مثل أن يقال : فلان شديد البأس نقي الثغر أو جواد الكف أبيض الثوب »[1] .

والصواب أن يقال : فلان شديد البأس عظيم النكاية ، وجواد الكف كثير العرف ، ومايجرى مجرى ذلك ، لأن نقاء الثغر لا يوافق شدة البأس ولايخالفه .

٥ — صحة التقسيم :

وهى : أن تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوى على جميع أنواعه ، ولايخرج منها جنس من أجناسه ، فمن ذلك قول الله تعالى : « هو الذى يريكم البرق خوفاً وطمعاً » ، وهذا أحسن تقسيم ، لأن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع ، ليس فيهم ثالث[2] .

وهو مقتف أثر قدامة فى هذا اللون ، وفى شواهده كقول زهير :

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء
فذلكم مقاطع كل حق ثلاث كلهن لكم شفاء

وكان عمر رضى الله عنه يعجب أيضا بهذا البيت ، ويقول : لو أدركت زهيراً لوليته القضاء لمعرفته به[3] ، وكقول عبدة بن الطبيب : « والعيش شح وإشفاق وتأميل » .

ثم يشير أبو هلال إلى عيوب القسمة ، ويذكر بعض شواهدها كقول جرير :

صارت حنيفة أثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها

أنشده ورجل من حنيفة حاضر ، فقيل له : من أى قسم أنت ؟ فقال : من الثلث الملغى ذكره[4] .

(١) الصناعتين ٣٤٨
(٢) المصدر السابق ٣٥٠
(٣) المصدر السابق ٣٥١
(٤) المصدر السابق ٣٥٣

٦ ــ صحة التفسير :

وقد سبق إليه قدامة ، فحذا أبو هلال حذوه فى تعريفه : « وهو أن يورد معانى تحتاج إلى شرح أحوالها، فإذا شرحت تأتى فى الشرح بتلك المعانى من غير عدول عنها أو زيادة تزاد فيها كقوله تعالى : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله » فجعل السكون لليل وابتغاء الفضل للنهار ، فهو فى غاية الحسن ونهاية التمام[1] .

ومنها قول الشاعر :

شبه الغيث فيه والليث والبد ... ر فسمح ومحرب وجميل

وقوله :

كيف أسلو وأنت حقف وغصن
وغزال لحظاً ورِدفاً وقــدّاً

ومن عيوب هذا الباب ما أنشده قدامة :

فيأيها الحيران فى ظلمة الدجى
ومن خاف أن يلقاه بغى من العدا

تعال إليه تلق من نور وجهه
ضياء ومن كفيه بحراً من الندى

وكان يجب أن يأتى بإزاء بغى العدا بالنصرة أو بالعصمة أو بالوزر أو ما يجانس ذلك مما يحتمى به الإنسان ، كما وضع بإزاء الظلمة الضياء ، فأما إذا وضع فى مقابل بغى العدا بحراً من الندى ، فليس ذلك تفسيراً لذاك[2] .

---

(١) الصناعتين /٣٥٥ (٢) المصدر السابق /٣٥٧

٧ — الإشارة :

وهو مسبوق إليها بالمبرد وقدامة ، فالمبرد تحدث عنها تحت اسم « الإيماء » وقدامة سماها « الإشارة » وهى أن يكون اللفظ القليل مشاراً به إلى معان كثيرة ، بإيماء إليها ولمحة تدل عليها ، وذلك كقوله تعالى : « إذ يغشى السدرة ما يغشى »(١) .

وقول الناس : « لو رأيت عليا بين الصفين » فيه حذف وإشارة إلى معان كثيرة(٢) .

٨ — الإرداف والتوابع :

هو مقتف أثر قدامة فى باب « الإرادف » وقد زاد عليه العسكرى كلمة « التوابع » وهو أن يريد المتكلم الدلالة على معنى فيترك اللفظ الدال عليه الخاص ، ويأتى بلفظ هو ردفه وتابع له ، فيجعله عبارة عن المعنى الذى أراده » كقوله تعالى : « فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان » وقصور الطرف فى الأصل موضوع للعفاف على جهة التوابع والإرداف ، وذلك أن المرأة إذا عفت قصرت طرفها على زوجها ، فكان قصور الطرف ردفاً للعفاف ، والعفاف ردف وتابع لقصور الطرف »(٣) .

والشواهد التى ذكرها قدامة وأبو هلال للإرداف تفيد أنه مرادف للكناية فى اصطلاح المتأخرين ، فالشواهد واحدة كقول العرب : « فلان عظيم الرماد » أى كثير الإطعام للأضياف ، لأن كثرة الإطعام تردف كثرة الطبخ . ومن ذلك قول الشاعر :

---

(١) النجم /١٦ (٢) الصناعتين /٣٥٨
(٣) الصناعتين /٣٦٠

وما بك فى من عيب فإنى جبان الكلب مهزول الفصيل

وقول امرىء القيس :

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها
نئوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

وقول عمر بن أبى ربيعة :

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل
أبوها وإما عبد شمس وهاشم[1]

إلى غير ذلك من شواهد الكناية التى نجدها فى كتب المتأخرين ، مما يدل على ترادفهما .

٩ — المماثلة :

وهى التمثيل عند قدامة . وهى : أن يريد المتكلم العبارة عن معنى . فيأتى بلفظة تكون موضوعة لمعنى آخر ، إلا أنه ينبىء إذا أورده عن المعنى الذى أراده كقولهم : « فلان نقى الثوب » يريدون به أنه لا عيب فيه ، ونقاء الثوب ليس موضوعاً للبراءة من العيوب وإنما استعمل فيه تمثيلا[2] .

وينقل أبو هلال عن الأصمعى : أن العرب إذا قالت : الثوب والإزار . فإنهم يريدون البدن كقول القائل :

ألا أبلغ أبا حفص رسولا فدى لك من أخى ثقة إزارى

إزارى أى : نفسى . ويجىء الثوب بمعنى آخر فى قول الشاعر :

فتلك ثياب إبراهيم فينا بواق ما دنسن ولا بلينا[3]

(١) المصدر السابق / ٣٦٢
(٢) المصدر السابق / ٣٦٤
(٣) المصدر السابق / ٣٦٤

ويقولون : فلان أوسع بنى أبيه ثوبا أى : أكثرهم معروفاً ، وفلان غمر الرداء : إذا كان كثير المعروف قال كثير :

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال

وقد يطلق عليها أبو هلال اسم « التمثيل » . فى قول الشاعر :

تركت الركاب لأربابها وأكرهت نفسى على ابن الصعق

جعلت يدى وشاحاً له وبعض الفوارس لا يعتنق

يقول أبو هلال : « فقوله : جعلت يدى وشاحاً تمثيل »[1] وهو بمعنى الاستعارة التمثيلية وعلى ذلك فالمماثلة عنـــد أبى هلال هى المثل عند أبى عبيدة والجاحظ والمبرد وهى التمثيل عند قدامة ، فالمراد واحد ، وإن اختلفت الأسماء ، ولا مشاحة فى الاصطلاح .

١٠ ــ الغلو :

عرفه أبو هلال بقوله : « هو تجاوز الحد فى المعنى ، والارتفاع فيه إلى غاية لا يكاد يبلغها ، كقول الله تعالى : « وبلغت القلوب الحناجر » ، وقول الشاعر :

يتقارضون إذا التقوا فى موطن
نظراً يزيل مواطىء الأقـــدام[2]

وقول الآخر :

فرجى الخير وانتظر إيابى إذا ما القارظ العنزى آبا

وقول النابغة :

فإنك سوف تحلم أو تناهى إذا ما شبت أو شاب الغراب

(١) الصناعتين / ٣٦٧ (٢) المصدر السابق /٣٦٩

ويقول أبو هلال : « ومن الناس من يكره الإفراط الشديد ويعيبه إلا إذا تحرز المبالغ فأورد شرطا أو جاء بكاد وما يجرى مجراها ، فحينئذ يسلم من العيب وذلك مثل قول الأول :

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة البدر[1]

١١ — المبالغة :

عرفها بقوله : « والمبالغة أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته ، وأبعد نهاياته ، ولا تقتصر فى العبارة عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه »[2] ومثل لها بآيات كريمة وأبيات شعرية .

فمثالها من القرآن قول الله تعالى : « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى » ولو قال : تذهل كل امرأة عن ولدها لكان بياناً حسناً وبلاغة كاملة ، وإنما خص المرضعة للمبالغة ؛ لأن المرضعة أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته إليها ، وأشغف به لقربه منها وملازمته لها ليلا ونهاراً ، وعلى حسب القرب تكون المحبة والإلف »[3] ثم يضيف أبو هلال نوعاً آخر فيقول : « ومن المبالغة نوع آخر وهو أن يذكر المتكلم حالا لو وقف عليها أجزأته فى غرضه منها ، فيجاوز ذلك حتى يزيد فى المعنى زيادة تؤكده ويلحق به لاحقة تؤيده كقول عمرو بن الأهتم التغلبي :

ونكرم جارنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا

فإكرامهم الجار مادام فيهم مكرمة ، وإتباعهم إياه الكرامة حيث

---

(١) المصدر السابق / ٣٧٥

(٢) المصدر السابق / ٣٧٨

(٣) الصناعتين / ٣٧٨

عال من المبالغة »(١) .اوهذا هو تعريف قدامة للمبالغة ، وهذا هو نفس الشاهد الذى أتى به قدامة لها .

ومعنى ذلك أن أبا هلال يجعل الغلو نوعاً قائما برأسه ، والمبالغة نوعاً آخر وهى بدورها قسمان : الأول هو التبليغ فى اصطلاح المتأخرين ، والثانى هو الإغراق فى عرفهم أيضاً كما فى بيت عمرو بن الأهتم فهو أمر ممكن فى العقل لا فى العادة .

وبذلك تخطو المبالغة خطوة جديدة على يد أبى هلال بعد أن كانت مرادفة للغلو عند قدامة وغيره من العلماء المتقدمين .

١٢ — الكناية والتعريض :

عرف أبو هلال الكناية والتعريض تعريفا يدل على أنهما مترادفان حيث يقول : « وهو أن تكنى عن الشيء وتعرض به ولا تصرح على حسب ما عملوا فى اللحن والتورية عن الشيء »(٢) . وذلك كقوله تعالى : « أو جاء أحد منكم من الغائط أولا مستم النساء » فالغائط كناية عن قضاء الحاجة ، وملامسة النساء كناية عن الجماع ، وقوله تعالى : « وفرش مرفوعة »: كناية عن النساء . والكناية هنا بمعناها اللغوى .

وهو مسبوق إلى « الكناية » بالخليل والأصمعى وأبى عبيدة والفراء ، أما « الكناية والتعريض » فقد تحدث عنهما الجاحظ وابن المعتز ، كما أنه مسبوق إلى « الإرداف » بقدامة .

---

(١) المصدر السابق / ٣٧٩
(٢) المصدر السابق / ٣٨١

١٣ — العكس :

تحدث قدامة عن العكس أو « عكس ما نظم من بناء »[1] وذلك فى « جواهر الألفاظ » وهذا النوع هو المعروف عند المتأخرين بالعكس والتبديل ، ويسميه أهل البديع « المعكوس » وقد عرفه أبو هلال بقوله : « أن تعكس الكلام فتجعل فى الجزء الأخير منه ما جعلته فى الجزء الأول »[2] وبعضهم يسميه « التبديل » وهو مثل قول الله عز وجل: « يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى »[3] ، ومنه قول القائل :

« اللهم أغننى بالفقر إليك ، ولا تفقرنى بالغنى عنك »

وللعكس أيضا وجه آخر : وهو أن يذكر المعنى ثم يعكسه بإيراد خلافه كقول الصاحب : « واستلان لبس المخازى ومد سجوفها ، وتلقب شمس المعالى وكان كسوفها » .

١٤ — التذييل :

يقول أبو هلال : « وللتذييل فى الكلام موقع جليل ، ومكان شريف خطير ، لأن المعنى يزداد به انشراحاً والمقصد اتضاحا . . . وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه ، ويتوكد عند من فهمه »[4] .

ثم بين المواقف التى يستعمل فيها فقال : « وينبغى أن يستعمل فى المواطن الجامعة ، والمواقف الحافلة ؛ لأن تلك المواطن تجمع البطىء الفهم والبعيد الذهن ، والثاقب القريحة ، والجيد الخاطر ، فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد توكد عند الذهن اللقن ، ووضع للكليل البليد ،

---

(١) جواهر الألفاظ /٣ ، ٤ (٢) الصناعتين /٣٨٥

(٣) سورة الروم/ ١٩ (٤) الصناعتين /٣٨٧

وتلك مواضع الإطناب عموماً على اختلاف أنواعه ، والتذييل نوع واحد منها وقد استقر به المقام مع بقية أنواع الإطناب ضمن مباحث علم المعانى عند المتأخرين .

وقد مثل له أبو هلال من القرآن الكريم بقوله تعالى: « ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور »[1] ومعناه : وهل نجازى بمثل هذا الجزاء إلا الكفور .

ومن المنظوم قول الحطيئة :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم
ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

فاستوفى المعنى فى النصف الأول ، وذيل بالنصف الثانى[2] .

١٥ — الترصيع :

سبق أن الجاحظ قد تحدث عن شيء من ذلك فى حديثه عن السجع والازدواج ، ثم جعله قدامة من نعوت الوزن وسماه « الترصيع » وبين معناه الاصطلاحى ، ثم جاء أبو هلال فوضح مأخذ الكلمة اللغوى حيث قال : « وأصله من قولهم : رصعت العقـد إذا فصلته ، وأما معناه الاصطلاحى فهو أن يكون حشو البيت مسجوعاً[3] .

ومثاله قول امرىء القيس :

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا
له حجبات مشرفات على الفال

(١) سورة سبأ /١٧ (٢) الصناعتين / ٣٨٨
(٣) الصناعتين / ٣٩٠

وقوله :

فتور القيام قطيع الكلا م تفتر عن ذى غروب خصر

ويرى أبو هلال أن الترصيع يحسن إذا وقع موقعه المناسب ، وجاء مطبوعاً غير متكلف ، ومثل هذا إذا اتفق فى موضع من القصيدة أو موضعين كان حسناً ، فإذا كثر وتوالى دل على التكلف ، وقد تعاطى نفر من القدماء الموالاة بين أبيات كثيرة من هذا الجنس فظهر فيها أثر التكلف ، وسلم بعضها ولم يسلم بعض . فمن ذلك ما روى عن الخنساء :

حامى الحقيقة محمود الخليقة مهدى الطريقة نفاع وضرار .

هذا البيت جيد . ثم قالت :

فعال سامية وراد طامية للمجد نامية تعنيه أسفار .

فهذا البيت ردىء ، لتبرؤ بعض ألفاظه من بعض »[١] .

ويمضى فى ذكر أمثلة شعرية للترصيع معقبا عليها ببيان ما فيها من حسن أو قبح مع التعليل لما يقول ، ثم يختم بذكر أمثلة للمعيب من الترصيع .

١٦ — الإيغال :

وهو مسبوق إلى الإيغال بالأصمعى وقدامة على نحو ما تقدم ، وهو عند أبى هلال : « أن تستوفى معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه ، ثم تأتى بالمقطع فتزيد معنى آخر يزيد به وضوحا وشرحا وتوكيدا وحسنا »[٢] وهو قريب من تعريف قدامة لهذا النوع ، كما أن شواهده هى تقريبا نفس الشواهد التى وردت عند الأصمعى وقدامة ولذلك سأضرب عنها

---

(١) المصدر السابق / ٣٩٣ (٢) المصدر السابق / ٣٩٥

صفحاً خشية التكرار فى غير طائل، ويحسب لأبى هلال هنا أنه فرق بين التتميم والإيغال حين قال: «ويدخل أكثر هذا الباب فى التتميم، وإنما يسمى إيغالا إذا وقع فى الفواصل والمقاطع»[١]. فالتتميم يأتى على المعنى الناقص فيتممه. أما الإيغال فإنه يأتى على المعنى التام فيزيده معنى آخر، ثم إن التتميم يأتى فى آخر الكلام كما يأتى فى الحشو أيضا أما الإيغال فيقع فى الفواصل والمقاطع، وهو كما يكون فى الشعر يكون فى النثر أيضاً .

١٧ — التوشيح :

يرى أبو هلال أن تسمية هذا النوع بالتوشيح غير لائقة بمعناه، ولو سمى تبييناً لكان أقرب . «وهو أن يكون مبدأ الكلام ينبىء عن مقطعه، وأوله يخبر بآخره، وصدره يشهد بعجزه، حتى لو سمعت شعرا، وعرفت رويه، ثم سمعت صدر بيت منه وقفت على عجزه قبل بلوغ السماع إليه ...»[٢]، وهو قريب من تعريف قدامة له مع تطويل هنا وإيجاز هناك .

وقد عرفه ابن المقفع ت ١٤٣ هـ وإن لم يطلق عليه هذه التسمية، التى أطلقها قدامة كما سبق القول ، وهذا النوع يسمى أيضا التسهيم، وهو «الإرصاد» عند المتأخرين .

وبعد أن مثل أبو هلال للتوشيح بآيات قرآنية كريمة يشير إلى ضرب آخر منه فيقول: «وضرب منه آخر، وهو أن يعرف السامع مقطع الكلام، وإن لم يجر ذكره فيما تقدم، وهو كقوله تعالى: «ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون»[٣] فإذا وقف على قوله «لننظر كيف» مع ما تقدم من قوله تعالى «جعلناكم

---

(١) الصناعتين / ٣٩٦ (٢) المصدر السابق / ٣٩٧

(٣) سورة يونس / ١٤

خلائف فى الأرض ، علم أن بعده « تعملون » لأن المعنى يقتضيه »[١]
وبعد أن أورد أمثلة أخرى من الشعر ، يقول « ومن عجيب هذا الباب قول البحترى :

فليس الذى حللته بمحلل   وليس الذى حرمته بحرام

وذلك أن من سمع النصف الأول عرف النصف الأخير بتمامه »[٢] .

ومن المعيب فى هذا الضرب قول أبى تمام :

صارت المكرمات نزلا وكانت
أدخلت بينها بنات مخاض

وقول المتنبى :

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا   قلاقل عيس كلهن قلاقل[٣]

وبيت المتنبى غير فصيح لما فيه من تنافر الكلمات ، والتنافر عيب من العيوب المخلة بالفصاحة .

١٨ — رد الأعجاز على الصدور :

وقد سبق إليه ابن المعتز فى كتاب « البديع » فاقتفى أثره أبو هلال فى الصناعتين مبيناً أن لرد الأعجاز على الصدور موقعاً جليلا فى البلاغة ، وله فى المنظوم خاصه محلا خطيراً .

وقد يلتبس هذا النوع بالتوشيح (الإرصاد أو التسهيم) ولكن بينهما فرقاً يتجلى فى أن الإرصاد يدل أوله على آخره أما رد العجز على الصدر فآخره يلاقى أوله بوجه من الوجوه ، ولذلك فرق المتأخرون بينهما فجعلوا الأول من المحسنات المعنوية ، بينما وضعوا الثانى فى المحسنات اللفظية .

---

(١) الصناعتين / ٣٩٨   (٢) المصدر السابق / ٣٩٨
(٣) المصدر السابق / ٣٩٩ .

ثم ذكر أبو هلال أقسامه الأربعة فقال : « وهو ينقسم أقساما :

منها ما يوافق آخر كلمة فى البيت آخر كلمة فى الشطر الأول مثل قول الشاعر :

يلقى إذا ما الأمر كان عرمرماً
فى جيش رأى لا يفل عرمرم[1]

ومنها ما يوافق آخر كلمة فى البيت أول كلمة فيه كقول الشاعر :

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه   وليس إلى داعى الندى بسريع

ومنها : ما يكون فى حشو الكلام ثم فى فاصلته ، كقوله تعالى : « أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا » وكقول امرىء القيس :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه   فليس على شىء سواه بخزان[2]

ومنها : ما يقع فى حشو النصفين ، كقول النمر :

يود الفتى طول السلامة والغنى
فكيف ترى طول السلامة يفعل[3]

ومن هذا القسم الرابع نفهم أن أبا هلال لا يشترط أن تقع الكلمة الثانية فى آخر الكلام كالقافية أو الفاصلة ، مع أن مقتضى التسمية برد الأعجاز على الصدور أن تكون الثانية فى عجز الكلام .

---

(١) الصناعتين / ٤٠٠   (٢) المصدر السابق / ٤٠١
(٣) المصدر السابق / ٤٠٢

١٩ — التتميم والتكميل :

والتتميم هو ماسماه ابن المعتز « الاعتراض » ، وأطلق عليه الجاحظ قبل ذلك إصابة المقدار (الاحتراس عند المتأخرين) ثم أطلق قدامة لفظ « التتميم » ، وقد زاد أبو هلال كلمة « التكميل » فقال « التتميم والتكميل »[١] بما يفيد أنهما عنده مترادفان .

وقد عرفه بقوله : « أن توفى المعنى حظه من الجودة . وتعطيه نصيبه من الصحة ، ثم لاتغادر معنى يكون فيه تمامه إلا توررده . أو لفظا يكون فيه توكيده لا تذكره . كقول الله تعالى : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة »[٢] فبقوله تعالى « وهو مؤمن » تم المعنى .

ومن الشعر قول عمرو بن براق :

فلا تأمنن الدهر حرا ظلمته ... فماليل مظلوم كريم بنائم

فقوله : « كريم » تتميم ، لأن اللئيم يغضى على العار ، وينام على الثار . ولا يكون منه دون المظالم نكير . وهو يذكر قول طرفة الذى استشهد به الجاحظ على « إصابة المقدار » ، واستشهد به قدامة على « التتميم » وهو :

فسقى ديارك غير مفسدها ... صوب الربيع وديمة تهمى

فقوله : « غير مفسدها » إتمام ، وتحرز من الوقوع فيما وقع فيه ذو الرمة فى قوله :

ألا يااسلمى يا دارمى على البلى ... ولا زال منهلا بجرعائك القطر

---

(١) المصدر السابق / ٤٠٤ .

(٢) الصناعتين / ٤٠٤ .

فهذا بالدعاء عليها أشبه منه بالدعاء لها ، لأن القطر إذا انهل فيها دائما فسدت»[١] .

وهو يوازن بين شاهد وآخر ، ليحكم بالسبق والفضل لأحدهما ومن ذلك قول الخنساء

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

يقول أبو هلال : « فى رأسه نار : تتميم عجيب . قالوا : لم يستوف أحد هذا المعنى استيفاءها . وهو مأخوذ من قول الأعشى :

وتدفن منه الصالحات وإن يسيء
يكن ما أساء النار فى رأس كبكبا

إلا أنها — أى الخنساء — أخرجته فى معرض أحسن من معرض الأعشى ، فشهر واستفاض وخمل معها بيت الأعشى ورذل »[٢] .

ويستدل أبو هلال بذلك على صحة المعنى الذى قرره قبل ذلك من أن « مدار البلاغة على تحسين اللفظ ، وتجميل الصورة »[٣] فجمال الصورة شرط فى تحقق بلاغة الكلام .

ذلك أن الردىء من الألفاظ يقوم مقام الجيد فى الإفهام ، وإنما يدل حسن الكلام ورونق ألفاظه وجودة مطالعه وحسن مقاطعه على فضل قائله . وبالصياغة الجميلة يتفاضل المتكلمون .

---

(١) الصناعتين / ٤٠٥ . (٢) المصدر السابق / ٤٠٦ .
(٣) المصدر السابق / ٦٤ .

٢٠ — الالتفات :

وهو متأثر فى بحثه برأى ابن المعتز ، ورأى قدامة ، ولذلك جعله على ضربين : « أحدهما : أن يفرغ المتكلم من المعنى ، فإذا ظننت أنه تجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به . والضرب الآخر : أن يكون الشاعر آخذاً فى معنى ، وكأنه يعترضه شك أوظن أن راداً يرد عليه قوله ، أو سائلا يسأله عن سببه ، فيعود راجعاً إلى ما قدمه ، فإما أن يؤكده أو يذكر سببه أو يزيل الشك عنه »[1] .

فالنوع الأول هو ما نقله ابن المعتز عن الأصمعى بأمثلته . والثانى هو رأى قدامة فى « نقد الشعر » وهو أحد نوعى الالتفات عند ابن المعتز . وأمثلته هى التى ذكرها قدامة فى هذا الموضع كقول المعطل الهذلى :

تبين صلاة الحرب منا ومنهم   إذا ما التقينا والمسالم بادن

فقوله « والمسالم بادن » رجوع من المعنى الذى قدمه ، حتى بين أن علامة صلاة الحرب من غيرهم أن المسالم بادن . والمحارب ضامر .

وقول ابن ميادة :

فلا صرمه يبدو وفى اليأس راحة
ولا وده يصفـــو لنـا فنـكارمه

كأنه بقوله « وفى اليأس راحة » التفت إلى المعنى لتقديره أن معارضاً يقول له وما تصنع بصرمه؟ فيقول ، لأنه يؤدى إلى اليأس ، وفى اليأس راحة[2] .

وأراه من قبيل الاعتراض أيضاً . فقوله « وفى اليأس راحة » جملة اعتراضية .

---

(١) الصناعتين / ٤٠٧   (٢) المصدر السابق / ٤٠٩

٢١ — الاعتراض :

وتعريفه عند أبي هلال هو تعريف ابن المعتز : « وهو اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ، ثم ترجع إليه فتتمه . كقول النابغة الجعدي :

ألا زعمت بنو سعد بأني ألا كذبوا كبير السن فاني

وقول الآخر :

إن الثمانـــين — وبلغتها — قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

وقول البحتري :

ولقد علمت وللشباب جهالة أن الصبا بعد الشباب تصابي [1]

٢٢ — الرجوع :

يقول أبو هلال : « هو أن تذكر شيئاً ثم ترجع عنه - كقول القائل: ليس معك من العقل شيء بل مقدار ما يوجب الحجة عليك . وكقول الشـــاعر :

أليس قليلا نظرة إن نظرتها إليك وكلا ليس منك قليل

وقول آخر :

إن ما قل منك يكثر عندي وكثير ممن تحب القليل [2]

وقد سلفت الإشارة إلى أن أبا عبيدة أول من تنبه إلى هذا اللون ، حين قال في بيت امرىء القيس :

وإن شفائي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول

إنه رجع فأكذب نفسه كما قال زهير :

(١) المصدر السابق / ٤١٠ (٢) الصناعتين / ٤١١

قف بالديار التي لم يعفها القدم   بلى وغيرها الأرواح والديم[1]

ثم جعله ابن المعتز ضمن محاسن الكلام ، وتابعه فى ذلك أبو هلال .

٢٣ — تجاهل العارف ومزج الشك باليقين :

وقد سبقه إليه ابن المعتز وسماه « تجاهل العارف » فزاد أبو هلال فى التسمية (مزج الشك باليقين) وهو إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزيد بذلك تأكيداً [2] .

ومثل بأمثلة كثيرة من بينها هذا البيت المشهور :

بالله ياظبيات القاع قلن لنا   ليلاى منكن أم ليلى من البشر

وقول ذى الرمة :

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل   وبين النقا آأنت أم أم سالم

٢٤ — الاستطراد :

أول من سماه بهذا الاسم أبو تمام فى حوار دار بينه وبين البحترى ، وقد اطلق عليه ابن المعتز اسم « حسن الخروج من معنى إلى معنى » بينما استخدم أبو هلال لفظ « الاستطراد » : وهو أن يأخذ المتكلم فى معنى ، فبينما يمر فيه يأخذ فى معنى آخر ، وقد جعل الأول سبباً إليه » [3] . كقول الله عزوجل : ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت » فبينما يدل الله سبحانه على نفسه بإنزال الغيث واهتزاز الأرض بعد خشوعها قال : « إن الذى أحياها لمحيي الموتى [4] فأخبر عن قدرته على إعادة الموتى بعد إفنائها وإحيائها بعد إرجائها . وقد

---

(١) إعجاز القرآن للباقلانى / ١٦١   (٢) الصناعتين / ٤١٢

(٣) المصدر السابق / ٤١٤   (٤) سورة فصلت / ٣٩

جعل ما تقدم من ذكر الغيث والنبات دليلا عليه، فاستدل بإحياء الأرض الميتة على البعث وإحياء الموتى. فاستوفى المعنيين جميعا [١].

ومنه قول السموأل:

وإنا أناس لا نرى القتل سبة   إذا ما رأته عامر وسلول

ويرى أبو هلال أن هذا الباب يقرب من باب «حسن الخروج» وقد تحدث عنه فى آخر الكتاب، ومعنى ذلك أنه يفرق بين النوعين، ثم يذكر أبو هلال نوعا آخر من الاستطراد: وهو أن يجيء بكلام يظن أنه يبدأ فيه بزهد. وهو يريد غير ذلك كقول الشاعر:

يا من تشاغـــل بالطلـــل   أقصر فقـــد قرب الأجل
واصـــل غبوقك بالصبو   ح وعد عن وصف المللْ [٢]

٢٥ — جمع المؤتلف والمختلف:

وهو أن يجمع فى كلام قصير أشياء كثيرة مختلفة أو مؤتلفة. كقول الله تعالى. فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات» [٣]. وقوله عز اسمه: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى» [٤]. ومن الشعر قول امرىء القيس:

فدمعهما سكب وسح وديمة   ورش وتوكاف وتنهملان

فقد جمع فيه جميع أوصاف الدمع من كثرته وقلته، وأمثلة أخرى من الشعر والنثر معاً [٥]. وبالنظر فى هذه الأمثلة نجد أنها تدخل فى نطاق «مراعاة النظير» عند المتأخرين.

---

(١) الصناعتين / ٤١٤   (٢) المصدر السابق / ٤١٦
(٣) سورة الأعراف / ١٣٢   (٤) سورة النحل / ٩٠
(٥) الصناعتين / ٤١٨

وابن أبي الإصبع يذهب في بيان « المؤتلفة والمختلف » مذهباً مغايراً للعسكرى حيث يقول : « جمع المؤتلفة والمختلفة : أن يريد الشاعر التسوية بين ممدوحين ، فيأتي بمعان مؤتلفة في مدحهما ، ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الآخر ، فيأتي لأجل الترجيح بمعان تخالف معاني التسوية ، كقول الخنساء في أخيها ، وقد أرادت مساواته بأبيها مع مراعاة حق الوالد بزيادة فضل لا ينقص بها حق الولد :

جارى أباه فأقبلا وهما ... يتعاوران ملاءة الحضر
وهما وقد برزا كأنهما ... صقران قد حطا إلى وكر
حتى إذا نزت القلوب وقد ... لزت هناك العذر بالعذر
وعلا هتاف الناس أيهما ... قال المجيب هناك لا أدرى
برقت صفيحة وجه والده ... ومضى على غلوائه يجرى
أولى فأولى أن يساويه ... لولا جلال السن والكبر[(١)]

والحق أن أبا هلال على حق فيما ذهب إليه من تفسير هذا النوع ، أما ابن أبي الاصبع فالتسمية عنده لا تنطبق على الشواهد التي أوردها ، وليس فيها جمع للمؤتلف والمختلف .

٢٦ — السلب والإيجاب :

وهو أن تبنى الكلام على نفي الشيء من جهة وإثباته من جهة أخرى ، أو الأمر به في جهة والنهي عنه في جهة أخرى وما يجرى مجرى ذلك[(٢)] ، كقوله تعالى : « فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً »[(٣)] ،

---

(١) تحرير التحبير /٣٤٤ : ٣٤٥ (٢) الصناعتين /٤٢١
(٣) سورة الإسراء / ٢٣

وقوله تعالى : «مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً »[1] .

ومن المنظوم قول امرىء القيس :

هضيم الحشا لا يملأ الكف خصرها
ويملأ منها كل حجل ودملج

والذى أراه أن « السلب والإيجاب » نوع من الطباق ، وليس باباً مستقلا ، وإلى ذلك ذهب القاضي الجرجاني حيث قال فى حديثه عن الطباق : « وقد يجيء منه جنس آخر تكون المطابقة فيه بالنفى ، كقول البحترى :

يقيض لى من حيث لا أعلم النوى
ويسرى إلى الشوق من حيث أعلم

ثم علق على ذلك بقوله : « لما كان قوله « لا أعلم » كقوله أجهل ، وكان قوله أجهل مطابقة كان الآخر بمثابته »[2] ، وهو عند المتأخرين نوع من الطباق ، وليس نوعاً مستقلا .

٢٧ — الاستثناء :

وهو مسبوق إلى هذا النوع بابن المعتز الذى سماه « تأكيد المدح بما يشبه الذم » فسماه العسكرى « الاستثناء »[4] ، وجعله على ضربين : فالضرب الأول أن تأتى بمعنى تريد توكيده والزيادة فيه ، فتستثنى بغيره ، فتكون الزيادة التى قصدتها ، والتوكيد الذى توخيته فى استثنائك ، قال ابن سلام لجندل بن جابر الفزارى :

---

(١) سورة الجمعة / ٥
(٢) الوساطة / ٤٨
(٣) الإيضاح ٤ / ٨
(٤) الصناعتين / ٤٢٤

فتى كملت أخلاقه غير أنه ... جواد فما يبقى من المال باقياً

فتى كان فيه ما يسر صديقه ... على أن فيه ما يسوء الأعاديا

فقال: هذا استثناء، فتبين هذا الاستثناء لهم، كما قال النابغة الذبياني:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم

بهن فلول من قراع الكتائب

والضرب الآخر: استقصاء المعنى والتحرز من دخول النقصان فيه، مثل قول طرفه:

فسقى ديارك غير مفسدها ... صوب الربيع وديمة تهمى[1]

٢٨ — المذهب الكلامى:

وهو الباب الخامس من بديع ابن المعتز. وقد نسبه إلى الجاحظ كما سبق القول، وذكر ابن المعتز أنه لم يجد شيئاً منه فى القرآن، وهو ينسب إلى التكلف، فنسبه إلى التكلف وجعله من البديع[2]، وأبو هلال على حق فى نقده لابن المعتز هنا، لأن ابن المعتز يضع المذهب الكلامى ضمن أنواع البديع الذى هو آية البلاغة وعلامة الفصاحة، ثم يقول إنه من التكلف فى القول فكيف يتفق الرأيان؟!

ومنه قول الفرزدق:

لكل امرىء نفسان: نفس كريمة

وأخرى يعاصيها الهوى فيطيعها

---

(١) المصدر السابق / ٤٢٤

(٢) الصناعتين / ٤٢٦

ونفسك من نفسيك تشفع للندى
إذا قل من أحرارهن شفيعها

وقد جعل الرماني هذا النوع من المبالغة[1] : لما فيه من إخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة فى العدل ، والمظاهرة فى الحجاج كقوله تعالى: « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » .

٢٩ — التشطير :

وهذا أول الأصباغ التى زادها أبو هلال ، وهو أن يتوازن المصراعان والجزآن و تتعادل أقسامهما مع قيام كل واحد منهما بنفسه ، واستغنائه عن صاحبه »[2] ، وهو يجيء فى الشعر والنثر ، فمثاله فى النثر : « قول بعضهم: من عتب على الزمان طالت معتبته ، ومن رضى عن الزمان طابت معيشته » .

ومثاله من الشعر قول ذى الرمة :

أستحدث الركب عن أشياعهم خبراً
أم راجع القلب من أطرابه طرب

والذى ينسب إلى أبى هلال فى الحقيقة هو التسمية بهذا الاسم « التشطير » أما المسمى فقد سبقه إليه ثعلب ، حيث جعله قسما من أقسام الشعر وسماه « المعدل » .

والأبيات المعدلة عنده : هى الأبيات التى يستغنى كل شطر فيها بنفسه مثل قول امرىء القيس بن عانس الصحابى :

الله أنجح ما طلبت به   والبر خير حقيبة الرحل

---

(١) ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن / ١٠٥
(٢) الصناعتين / ٤٢٨

وقول القطامى :

قد يدرك المتأنى بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل

وإنما كان هذا النوع أبلغ الشعر عند ثعلب لبعده عن التعدى والتقصير ، والتوسط ممدوح بكل لغة ، وموسوم بكمال الحكمة « وخير الأمور أوساطها »(١).

٣٠ — المجاورة :

وهذا هو النوع الثانى من الأنواع التى ابتكرها أبو هلال ، وهو تردد لفظتين فى البيت ، ووقوع كل واحدة منهما بجنب الأخرى أو قريباً منها ، من غير أن يكون إحداهما لغواً لا يحتاج إليها ، وذلك كقول علقمة :

ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه
أنى توجه والمحروم محروم(٢)

فقوله : « الغنم يوم الغنم » مجاورة ، و « والمحروم محروم » مثله .ومنه قول مسلم :

أتتك المطايا تهتدى بمطية
عليها فتى كالنصل يؤنسه النصل

وهذا اللون قد سمى فيما بعد باسم الترديد(٣) .

---

(١) قواعد الشعر / ٦٣ — ٦٧
(٢) الصناعتين / ٤٣١
(٣) العمدة لابن رشيق ١ / ٢٣٣

٣١ ـ الاستشهاد والاحتجاج :

وهذا هو النوع الثالث من الأنواع التى ابتكرها أبو هلال ، وهو كثير فى كلام القدماء والمحدثين وأحسن مايتعاطى من أجناس صنعة الشعر ، ومجراه مجرى التذييل فى توكيد المعنى . وهو أن تأتى بمعنى آخر يجرى مجرى الاستشهاد على الأول ، والحجة على صحته (١) .

ومن أمثلة هذا النوع قول الفرزدق :

تصرم منى ود بكر بن وائل
وما كاد لولا ظلمهم يتصرم
قوارص تأتينى ويحتقرونها
وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

وقول بشار :

فلا تجعل الشورى عليك غضاضة
فإن الخوافى قوة للقوادم

ولو تأملنا فى هذه الأمثلة فسوف نجد أنها تدخل فى نطاق التشبيه الضمنى وحسن التعليل والمعروف أن التشبيه الضمنى كالقياس المنطقى ويؤتى به للدلالة على أن الأمر الذى أسند إلى المشبه ممكن أو بتعبير آخر للاستدلال على صحة الوصف الذى اتصف به المشبه .

ولذلك يقول أبو هلال : « ويدخل أكثر هذه الأمثلة فى باب التشبيه أيضاً »(٢) .

---

(١) الصناعتين / ٤٣٤ .   (٢) المصدر السابق / ٤٣٧ .

٣٢ — التعطف :

وهو أن تذكر اللفظ ثم تكروه ، والمعنى مختلف[1] . قالوا : وأول من ابتدأه امرؤ القيس فى قوله :

ألا إننى بال على جمل بال يسوق بنال بال ويتبعنا بال

وليس هــذا البيت من التعطف على الأصل الذى أصلوه . لأن الألفاظ المكورة فيه بمعنى واحد يجمعها البلى ، فلا اختلاف بينها ، وإنما التعطف الذى ينطبق عليه التعريف المذكور كقول الشماخ :

كادت تساقطنى والرحل إن نطقت
حمامة فدعت ساقاً على ساق[2]

فالشاهد فى قوله « فدعت ساقاً على ساق » فالساق الأولى ذكر القمارى ويسمى الساق .

وأما الساق الثانية فهى ساق شجرة . أى دعت ذكر القمارى على ساق شجرة .

وقد ذكر أبو هلال فى حديثه عن المطابقة : أن أهل الصنعة يسمون النوع الذى سماه قدامة المطابقة « التعطف »[3] . فأخذ أبو هلال هذا الاسم ، وجعله نوعا مستقلا مع أنه بتعريفه السابق يدخل فى الجناس بمعناه عند ابن المعتز وأبى هلال . وهذا واضح من الأمثلة التى ساقها لهذا النوع كقول الأفوه :

وأقطع الهوجل مستأنسا بهوجل عيرانة عنتريس

---

(١) المصدر السابق / ٤٣٨ . (٢) المصدر السابق / ٤٣٨ .
(٣) الصناعتين / ٣١٦ .

فالموجل الأول : الأرض البعيدة الأطراف .

والموجل الثانى : الناقة العظيمة الخلق[١] . وهذا جناس .

٣٣ — المضاعفة :

وهذا هو النوع الرابع من الأنواع التى أضافها أبو هلال . وقد عرفه بقوله : « هو أن يتضمن الكلام معنيين : معنى مصرح به ، ومعنى كالمشار إليه »[٢] .

وذلك مثل قول الله تعالى : « ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لايعقلون . ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون »[٣] .

فالمعنى المصرح به فى ظاهر هذا الكلام أنه لايقدر أن يهدى من عمى عن الآيات وصم عن الكلم البينات . . . والمعنى المشار إليه أنه فضل السمع على البصر ، لأنه جعل مع الصمم فقدان العقل ، ومع العمى فقدان النظر فقط[٤] .

ثم أشار إلى نوع آخر من المضاعفة ، وهو أن تورد الاسم الواحد على وجهين ، وتضمنه معنيين ، كل واحد منهما معنى .

كقول بعضهم :

أفدى الذى زارنى والسيف يخفره
ولحظ عينيه أمضى من مضاربه

---

(١) المصدر السابق / ٤٣٨ .

(٢) المصدر السابق / ٤٤١ .

(٣) سورة يونس / ٤٢ ، ٤٣ .

(٤) الصناعتين ٤٤١ .

فما خلعت نجادى فى العناق له

حتى لبست نجاداً من ذوائبـــه

فجعل فى السيف معنيين : أحدهما أن يخفره . والآخر أن لحظه أمضى من مضاربه .

ونوع ثالث منها فى قول ابن الرومى :

بجهل كجهل السيف والسيف منتضى

وحلم كحلم السيف والسيف مغمد

ونوع رابع أشار إليه فى قول مسلم :

وخال كخال البــدر فى وجه مثله

لقينا المنى فيه فحاجزنا البذل[1]

٣٤ — التطريز :

وهذا هو خامس الأنواع التى ابتكرها أبو هلال ، وهو أن يقع فى أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية فى الوزن ، فيكون فيها كالطراز فى الثوب . وهذا قليل فى الشعر » .

ومنه قول أبى تمام :

أعوام وصل كاد ينسى طولها ذكر النوى فكأنها أيام

ثم انبرت أيام هجر أردفت نجوى أسى فكأنها أعوام

ثم انقضت تلك السنون وأهلها

فكأنهم وكأنها أحــلام[2]

فالتطريز فى قوله : « كأنها أيام » و« كأنها أعوام » و« كأنها أحلام » وقد أطلق ابن أبى الأصبع على بعض أمثلة هــذا النوع اسم « التوشيع »[3] .

(١) المصدر السابق / ٤٤٢ .
(٢) الصناعتين / ٤٤٣ .
(٣) تحرير التحبير / ٣١٦ .

٣٥ — التلطف :

وهو النوع السادس من الأنواع التى ابتكرها أبو هلال ، وقد عرفه بقوله : « أن تتلطف للمعنى الحسن حتى تهجنه ، وللمعنى الهجين حتى تحسنه »[١] .

وقد ذكر له أمثلة من النثر والنظم ، فمن النثر ما ورد أن الحسن رأى على رجل طيلسان صوف . فقال له : أيعجبك طيلسانك هذا ؟ قال : نعم. قال : إنه كان على شاة قبلك ، فهجنه من وجه قريب .

وأما الشعر فقد ذكر له أمثلة عديدة منها : قول الحطيئة فى بنى أنف الناقـة :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

فكانوا بعد ذلك يتبجحون بهذا اللقب ، فهذا تلطف فى تحسين القبيح .

وإذا كان هذا هو معنى « التلطف » عند أبى هلال ، فهو ليس جديداً، فقد روى أنه قال للأصمعى : من أشعر الناس ؟ فقال : من يأتى إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيراً ، أو إلى المعنى الكبير فيجعله بلفظه خسيساً[٢] .

وقـد سبقت الإشارة إلى قول الأصمعى فى الحديث عن الإيغال والمبالغة عنده .

وبعد أن انتهى أبو هلال من عرض فنون البديع السابقة يقول : « وقد فرغنا من شرح أبواب البديع وتبيين وجوهها ، والزيادة التى زدنا فيها ستة فصول ، وأبرزناها فى قوالبها من الألفاظ من غير إخلال

---

(١) الصناعتين ٤٤٥ (٢) العمدة لابن رشيق ٥٤/٢

ولا إهذار ... وقد عرض لي بعد نظم هذه الأنواع نوع آخر لم يذكره أحد، وسميته «المشق»، ثم تحدث عنه، ومعنى ذلك أنه زاد في البديع سبعة أنواع.

٣٦ — المشتق :

يقول أبو هلال : «وهو على وجهين : الوجه الأول : أن يشتق اللفظ من اللفظ، والآخر أن يشق المعنى من اللفظ[١]»، فاشتقاق اللفظ من اللفظ مثل قول الشاعر في رجل يقال له «ينخاب» :

وكيف ينجح من نصف اسمه خابا

وكقول أبي هلال في البانياس :

في البانياس إذا أوطئت ساحتها
خوف وحيف وإملال وإفلاس
وكيف يطمع في أمن وفي دعة
من حل في بلد نصف اسمه ياس

واشتقاق المعنى من اللفظ مثل قول أبي العتاهية :

حلقت لحية موسى باسمه وبهارون إذا ما قلبا

ولا يكتفي أبو هلال بهذه الوجوه التي ذكرها، بل يلحق بها فنونا أخرى، وهي : حسن الرد كقول النبي ﷺ للعباس : أنت أكبر مني، فقال العباس : أنا أسن ورسول الله أكبر[٢].

وكذلك التخييل : وهو أن يخيل أنه يمدح، وهو يهجو، أو يخيل أنه يهجو وهو يمدح.

---

(١) الصناعتين ٤٤٨ (٢) المصدر السابق ٤٤٨

وأخيراً : الخبر والوصف فى صورة الاستفهام كقوله تعالى: « أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين »[1] .

وهو استفهام تقريرى ، فقد وقع الإنشاء موقــع الخبر كما يقول المتأخرون .

وخلاصة القول أن أبا هلال قد تحدث عن وجوه البديع الآتية :

١ — الاستعارة والمجاز . ٢ — المطابقة .
٣ — التجنيس . ٤ — المقابلة .
٥ — صحـة التقسيم . ٦ — صحـة التفسير .
٧ — الإشارة . ٨ — الإرداف
٩ — المماثلة . ١٠ — الغلو .
١١ — المبالغة . ١٢ — الكناية والتعريض .
١٣ — العكس . ١٤ — التذييل .
١٥ — الترصيع . ١٦ — الإيغال .
١٧ — التوشيح . ١٨ — رد الأعجاز على الصدور .
١٩ — التتميم والتكميل . ٢٠ — الالتفات .
٢١ — الاعتراض . ٢٢ — الرجوع .
٢٣ — تجاهل العارف ومزج الشك باليقين .
٢٤ — الاستطراد . ٢٥ — جمع المؤتلف والمختلف .
٢٦ — السلب والإيجاب . ٢٧ — الاستثناء .
٢٨ — المذهب الكلامى . ٢٩ — التشطير .

---

(١) سورة العنكبوت ٦٨

٣٠ — المجاورة . ٣١ — الاستشهاد والاحتجاج .

٣٢ — التعطف . ٣٣ — المضاعفة .

٣٤ — التطريز . ٣٥ — التلطف .

٣٦ — المشتق . وألحق بها : حسن الرد ، والتخييل ، والخبر والوصف في صورة الاستفهام .

تعقيب :

إذا كان صاحب الصناعتين قد أضاف ستة أنواع إلى البديع هي من ابتكاره كما قال : فإننا نلاحظ على تصنيفه لوجوه البديع أنه لم يضع التشبيه في وجوه البديع كما فعل ابن المعتز وغيره ، بل تحدث عنه في باب مستقل هو الباب السابع من الكتاب ، فهل يعني ذلك أنه لا يعد التشبيه من البديع ؟ إن التشبيه هو أصل الاستعارة ، وهي مبنية عليه بدعوى الاتحاد بين الطرفين للمبالغة في التشبيه ، وقد جعلها أبو هلال من البديع ، فما المانع من دخول التشبيه في البديع هو الآخر ؟ ! وقد كان أبو هلال يصف التشبيه بذلك كثيراً كقوله : ومن بديع التشبيه قول امرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً
لدى وكرها العناب والحشف البالي

ومن مليح التشبيه وبديعه قول ابن المعتز :

والصبح يتلو المشترى فكأنه عريان يمشي في الدجى بسراج[٢]

فهو يصف التشبيه كثيراً بأنه بديع أو مليح أو هذا من غرائب التشبيهات وبدائعها ، أما وضعه في باب مستقل فربما كان ذلك لأهميته وطول الحديث عنه وكثرة أقسامه ومقاييسه .

---

(١) الصناعتين ٢٥٥ ، ٢٥٦ (٢) المصدر السابق ٢٥٨

ونلاحظ أيضاً أنه عالج السجع والازدواج فى باب مستقل هو الباب الثامن فأخرجهما من وجوه البديع ، وهما منه عنـــد الأصمعى والجاحظ وقدامة كما سبق القول .

ثم إنه جعل « التذييل » من البديع ، وأخرج منه الإشارة (الإيجاز) والمساواة وتحدث عن الإيجاز والإطناب فى باب مستقل هو الباب الخامس . والتذييل توكيد للمعنى فهو نوع من الإطناب . فكيف دخل التذييل فى البديع دون غيره من أنواع الإطناب كالإيضاح بعد الإبهام والترشيع والتكرار وذكر الخاص بعد العام ؟ وكيف خرجت الإشارة والمساواة من البديع وهما معدودتان منه عند قدامة ، وعند الجاحظ من قبله . وأخيراً فإنه أخرج المبادىء والمقاطع من البديع بينما جعلهما السابقون منه ، فهذه أهم الملاحظات على توزيعه لوجوه البديع .

الفصل الثالث

البديع في القرن الخامس الهجرى

البديع عند ابن رشيق :

في القرن الخامس الهجرى وضع الحسن ابن رشيق ت ٤٥٦ هـ كتاب « العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده » وهو صورة صادقة لثقافة زمانه ومعارف بيئته وبدا ابن رشيق في كتابه واسع الأفق غزير العلم مستوعباً لآثار السلف واعيا بما يدور في رحابها من تيارات نقدية ، وأخبار أدبية ، ونكت بلاغية ، وأوزان شعرية إلى غير ذلك من قضايا الشعر والشعراء ، فجمع في كتابه أحسن ماقاله العلماء ، من قبله ، ومضى في تأليف كتابه راسخ القدم واضح الرؤية حتى بلغ غايته المنشودة .

والذى يعنيني من هذا الكتاب هو ألوان البديع عند ابن رشيق ، وما طرأ على أنواعه من تطور بعد القرنين الثالث والرابع الهجريين ، لنعرف ماأضافه ابن رشيق إلى البديع وفنونه ، بعد أن أصبح البديع صناعة يتحراها الأدباء ، ومقياساً من أهم المقاييس التى يعتمدها النقاد ، ويقيسون بها الأدب في تلك العصور .

والبديع عنده : هو الجديد ، وأصله في الحبال ، وذلك أن يفتل الحبل جديداً ليس من قوى حبل نقضت ، ثم فتلت فتلا آخر ، وأنشدو للشماخ ابن ضرار :

أطار عقيقه عنه نسالا وأدمج دمج ذى شطن بديع

والبديع ضروب كثيرة ، وأنواع مختلفة[1] ، ثم أشار إلى صنيع ابن المعتز الذى هو أول من جمع البديع وألف فيه كتاباً . فقد جمع خمسة أبواب فى البديع ، وجعل غيرها من محاسن الكلام ، وأباح تسميتها بديعا لمن أراد ذلك .

وهاهى ذى أنواع البديع عند ابن رشيق :

١ — المجاز :

من مفاخر كلام العرب ، فهو دليل الفصاحة ، ورأس البلاغة ، قال ابن قتيبة : لو كان المجاز كذباً لكان أكثر كلامنا باطلا ، لأنا نقول. نبت البقل وطالت الشجرة . وأينعت الثمرة ، وأقام الجبل ، ورخص السعر »[2] .

والمجاز فى كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة ، وأحسن موقعاً فى القلوب والأسماع . ويرى ابن رشيق أن التشبيه والإستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز إلا أنهم خصوا به باباً بعينه ،وذلك أن يسمى الشيء باسم ماقاربه أو كان منه بسبب ، وهذا تعريف واسع للمجاز يدخل فيه ماعلاقته المشابهة وغيرها ، ولذلك فإن الأمثلة التى ذكرها تشمل التشبيه والاستعارة والمجاز المرسل والمجاز العقلى والكناية ومعنى ذلك أن المصطلح مازال واسعاً غير محدد الدلالة عند ابن رشيق .

٢ — الإستعارة :

هى عنده « أفضل المجاز ، وأول أبواب البديع »[3] ، ومعنى ذلك

---

(١) العمدة لابن رشيق ٢٦٥/١ . (٢) المصدر السابق ص ٢٦٦/١

(٣) العمدة لابن رشيق ٢٦٨/١ .

أن الإستعارة نوع من المجاز ، وليست مرادفة له كما كانت عند أبي هلال العسكري :

وهي لاتحسن دائماً وفي كل حال ، وإنما تحسن إذا وقعت موقعها ، ونزلت موضعها ، والناس مختلفون فيها : فمنهم من يستعير للشيء ماليس منه ولا إليه كقول لبيد :

وغـــداة ريح قد وزعت وقرة
إذ أصبحت بيـــد الشمال زمامها

ومنهم من يخرجها مخرج التشبيه كما قال ذو الرمة :

أقامت به حتى ذوى العود والتوى
وساق الثريا في مـــلاءته الفجر

ويعترض ابن رشيق على من يفضل الإستعارة في بيت ذي الرمة ، لأنهم كانوا يستحسنون الإستعارة القريبة ، ويستهجنون البعيدة ، وبه أتت النصوص عنهم ، وإذا استعير للشيء مايقرب منه ويليق به كان أولى ممـا ليس منه في شيء ، وابن رشيق يفضل الاستعارة التي لاتكون بعيدة جداً ، ولا تكون قريبة جداً ، وخير الأمور أوساطها[1] .

وقد نص على أن الاستعارة من التشبيه إلا أنها بغير أداته وعلى غير أسلوبه[2] ، وبذلك يبدأ مدلول الاستعارة في التحديد بطريقة لم نألفها عند السابقين ، فهي مجاز علاقته المشابهة ، والمجاز عند ابن رشيق أعم من الاستعارة وهي نوع منه قائم على عـــلاقة المشابهة ، وهو يستحسن الاستعارة التي تكون وسطاً بين الغرابة والابتذال مستنداً إلى قول

---

(١) المصدر السابق ص ١ / ٢٧١ .
(٢) المصدر السابق ١ / ٢٨٠ .

القاضى الجرجانى فى الوساطة : « وملاك الاستعارة تقريب الشبه ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له »[١] ، وهو لا يكتفى بتأصيل القواعد بل يشفع ذلك بالتطبيق ، فيذكر أمثلة للاستعارات الحسنة ، والاستعارات القبيحة .

٣ — التمثيل :

هو المثل عند أبى عبيدة والمبرد وهو التمثيل عند قدامة ، وهو المماثلة عند أبى هلال ، وقد عرفه ابن رشيق بقوله : « أن تمثل شيئا بشىء فيه إستعارة »[٢] ، والتمثيل والاستعارة من التشبيه إلا أنهما بغير أداته ، وعلى غير أسلوبه ، والمثل المضروب فى الشعر نحو قول طرفة .

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

راجع إلى ماسبق ذكره ، لأن معناه : ستبدى لك الأيام كما أبدت لغيرك ، ويأتيك بالأخبار من لم تزود كما جرت عادة الزمان .

٤ — المثل السائر :

يقول ابن رشيق : « المثل السائر فى كلام العرب كثير شعراً ونثراً ، وأفضله أوجزه وأحكمه أصدقه ، وقولهم : مثل شرود وشارد ، أى سائر لايرد كالجمل الصعب الشارد الذى لايكاد يعرض له ، ولا يرد »[٣] .

والمثل السائر موجود فى القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربى . فأما ما كان من الأمثال فى القرآن الكريم فقد ضمن الإعجاز

---

(١) الوساطة / ٣٧ . (٢) العمدة ١/٢٧٧ .
(٣) المصدر السابق ١/٢٨٠ .

كقول الله عز وجل : « كمثل العنكبوت اتخذت بيتا . وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت »[1] . ومنه قول النبي ﷺ : « كل الصيد فى جوف الفرا » وقول النابغة :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة
وليس وراء الله للمرء مذهب

٥ ـ التشبيه :

عرفه بقوله : « التشبيه صفة الشىء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو من جهات كثيرة لا من جميع جهاته »[2] . ثم تحدث عن فائدته وأن التشبيه والاستعارة جميعا يخرجان الأغمض إلى الأوضح ، ويقربان البعيد ، ثم فرق بين التشبيه الحسن والتشبيه القبيح عند الرمانى ، وتعليل ذلك ويرى ابن رشيق أن حسن التشبيه أن يقرب بين البعيدين حتى تصير بينهما مناسبة واشتراك . كما قال الأشجعى :

كأن أزير الكير إرزام شخبها
إذا امتاحها فى محلب الحى مائح

وسبيل التشبيه : أن تشبه الأدون بالأعلى إذا أردت مدحه ، وتشبه الأعلى بالأدون إذا أردت ذمه ، فتقول فى المدح : تراب كالمسك . وفى الذم : مسك كالتراب[3] .

ثم يشير إلى أن أصل التشبيه مع دخول الأداة تشبيه شىء بشىء فى بيت واحد إلى أن جاء امرؤ القيس فشبه شيئين بشيئين حيث يقول :

(١) سورة العنكبوت / ٤١
(٢) العمدة ١ / ٢٨٦
(٣) العمدة ١ / ٢٩٠

كأن قـلوب الطير رطبا ويابساً
لدى وكرها العناب والحشف البالى

فاتبعه الشعراء فى ذلك . ثم شبهوا ثلاثة بثلاثة ، ثم شبهوا أربعة بأربعة ، وخمسة بخمسة . ولكنه مثل للنوع الآخير بقول الوأواء :

فأسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت
ورداً وعضت على العناب بالبرد[1]

وما فى البيت استعارة لا تشبيه ، لعدم ذكر الطرفين معاً ، فالمشبه محذوف . وهذا واضح .

ويشير إلى أن التشبيه قد يقع بين الضدين والمختلفين . كقولك : « العسل فى حلاوته كالصبر فى مرارته ، أو كالخل فى حموضته » فالأول بلغ الغاية فى الحلاوة ، والثانى بلغ الغاية فى المرارة .

ثم يقول : « ومن التشبيهات عقم لم يسبق أصحابها إليها ولا تعدى أحد بعدهم عليها »[2] وهذا المصطلح ورد على لسان الرشيد فى مجلس من مجالسه الأدبية . فدونه ابن رشيق .

ويختم باب « التشبيه » بالحديث عن ارتباط التشبيه بالبيئة ، واختلاف الأذواق فى تقدير التشبيه بحسب الزمان والمكان . فهناك تشبيهات للقدامى رغب عنها المولدون استبشاعاً لها ، وإن كانت بديعة فى ذاتها كتشبيه البنان بالدود فى قول امرىء القيس :

وتعطو برخص غـير شثن كأنه
أساريع ظبى أو مساويك إسحل

---

(١) المصدر السابق ١ / ٢٩٤
(٢) المصدر السابق ١ / ٢٩٦

فالحضرى المؤلف يفضل قول أبى نواس :

تعاطيكها كف كأن بنانها
إذا اعترضتها العين صف مدارى

على قول امرىء القيس فى تشبيه البنان بالأساريع ، وإن كان تشبيهه أشد إصابة[1] .

٦ — الإشارة :

سبقه إلى هذا اللون المبرد فى الكامل ، وأطلق عليه « الإيماء » وكذلك قدامة فى « نقد الشعر » ، ثم أبو هلال فى الصناعتين ، ولكن ابن رشيق قد أربى على هؤلاء جميعا فهى من غرائب الشعر وملحه ، وبلاغة عجيبة تدل على بعد المرمى وفرط المقدرة ، وليس يأتى بها إلا الشاعر المبرز والحاذق الماهر ، وهى فى كل نوع من الكلام لمحة دالة ، واختصار وتلويح يعرف مجملا ، ومعناه بعيد من ظاهر لفظه[2] . ثم نقل عن قدامة بعض الأمثلة وذكر من أنواع الإشارة :

التفخيم — الإيماء — التعريض — التلويح — الكناية والتمثيل — الرمز — اللمحة — اللغز — اللحن (المحاجاة) — الحذف — التورية[3] .

وقد تحدث عن كل نوع منها ، وعرض شواهده وحللها تحليلا ينبىء عن وعى وفطنة ، ويدل على إحاطة بكلام العلماء فى هذه الأنواع من قبله فله فضل جمعها تحت باب واحد .

٧ — التتبيع :

ويسمى التجاوز أيضاً ، وهو من أنواع الإشارة عند ابن رشيق ،

---

(١) العمدة ١ / ٢٩٩ ، ٣٠٠ (٢) المصدر السابق ١ / ٣٠٢

(٣) المصدر السابق ٣٠٣/١ — ٣١١

ومعناه : أن يريد الشاعر ذكر الشيء فيتجاوزه ويذكر ما يتبعه في الصفة ، وينوب عنه في الدلالة كقول امرىء القيس :

ويضحي فتيت المسك فوق فراشها
نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

فقوله « يضحي فتيت المسك » تتبيع ، و « نؤوم الضحى » تتبيع ثان. و « لم تنتطق عن تفضل تتبيع ثالث ، يريد أن يصفها بالترفة وأنها منعمة مخدومة لها من يكفيها شئونها ، فجاء بما يتبع الصفة ، ويدل عليها أفضل دلالة[1] . وأمثلته كلها من الكناية عند المتأخرين .

٨ — التجنيس :

وهو معروف عند السابقين كالخليل والأصمعي وابن المعتز وقدامة وأبي هلال وقد زاد ابن رشيق عليهم بذكر أنواع التجنيس ، وهي :

(أ) المماثلة ومعناها أن تكون اللفظة واحدة مع اختلاف المعنى .

(ب) التجنيس المحقق : وهو ما اتفقت فيه الحروف دون الوزن ، رجع إلى الاشتقاق أو لم يرجع . والجرجاني يسميه « التجنيس المطلق »[2].

(ج) تجنيس المضارعة : وهو على ضروب كثيرة : منها أن تزيد الحروف وتنقص ، وهو « الجناس الناقص » عند الجرجاني ، ومنها أن تتقدم الحروف وتتأخر . ويسميه الرماني المشاكلة .

وأصل المضارعة أن تتقارب مخارج الحروف كقوله تعالى : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » .

---

(١) المصدر السابق ٣١٣/١ ، ٣١٤ .
(٢) المصدر السابق ٣٢٤/١ .

ومنها : المضارعة بالتصحيف ونقص الحروف ، وإنما التصحيف فيما تناسب من الخط ، مثل « داع » و « وراع » لبعد ما بينهما فى اللفظ والهجاء[١] .

ويفرق بين التجنيس والطباق بقوله : « وإذا دخل التجنيس نفى عد طباقاً ، وكذلك الطباق يصير بالنفى تجنيساً »[٢] .

٩ — الترديد :

وقد سبق أبو هلال إلى هذا النوع وسماه « المجاورة » وعرفه ابن رشيق بقوله : « أن يأتى الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى ، ثم يردها بعينها متعلقة بمعنى آخر فى البيت نفسه أو فى قسيم منه كقول زهير :

من يلق يوماً على علاته هرماً
يلق السماحة منه والندى خلقاً[٣]

١٠ — : التصدير :

وهذا النوع معناه : أن يرد أعجاز الكلام على صدوره ، فيدل بعضه على بعض[٤] . وقد سبق إليه ابن المعتز وسماه « رد العجز على الصدر » وهو الرابع فى وجوه البديع . ويفرق ابن رشيق بين التصدير والترديد ، بأن الأول مخصوص بالقوافى ترد على الصدور والترديد يقع فى أضعاف البيت غالباً . وقد تقدمت شواهد كل منهما .

١١ — المطابقة :

يقول ابن رشيق : « المطابقة عند جميع الناس : جمعك بين الضدين فى

---

(١) العمدة ١/٣٢٧
(٢) المصدر السابق ١/٣٣٢
(٣) المصدر السابق ١/٣٣٣
(٤) المصدر السابق ٢/٣

الكلام أو بيت شعر »[١] . ولم يخرج عن هذا الاجماع سوى قدامة فأطلق على هذا النوع « التكافؤ » . وأطلق « المطابقة » على نوع من الجناس كما تقدم .

ويذكر ابن رشيق رأى الخليل والأصمعى فى المطابقة ، وكذلك تعريف الرمانى لها حيث يقول : « المطابقة : مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان »[٢] فهى على رأى الخليل والأصمعى مساواة معنى لمعنى ، وعلى رأى قدامة فى المطابقة هى مساواة لفظ للفظ .

١٢ — ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة :

يتحدث ابن رشيق عن اختلاط التجنيس بالمطابقة فى بعض المواضع : من ذلك أن يقع فى الكلام شىء مما يستعمل للضدين ، كقولهم « جلل » بمعنى صغير ، وجلل بمعنى عظيم . فإن باطنه مطابقة ، وظاهره تجنيس ، ومن ذلك أن يدخل حرف النفى كقول البحترى :

يقيض لى من حيث لا أعلم الهوى ويسرى إلى الشوق من حيث أعلم[٣]

ومما ظاهره تجنيس وباطنه طباق : الوعد والوعيد كقول الشاعر :

وإنى وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادى ومنجز موعدى

فالوعد فى الثواب ، والوعيد فى العقاب ، فهذا طباق فى الباطن ، وإن كان جناساً فى ظاهره .

١٣ — المقابلة :

ورد هذا المصطلح عند الأصمعى وقدامة وأبى هلال . وتعريف ابن رشيق له هو تقريبا تعريف قدامة « وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب ، فيعطى أول الكلام ما يليق به أولا ، وآخره ما يليق به آخراً .

---

(١) العمدة ٢/٥ . (٢) المصدر السابق ٢/٧ .
(٣) المصدر السابق ٢/١٢ .

ويأتى فى الموافق بما يوافقه ، وفى المخالف بما يخالفه »[١] . ثم يقول :

« وأكثر ماتجىء المقابلة فى الأضداد ، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة كقول الشاعر :

فيا عجباً كيف اتفقنا فناصح وفى ومطوى على الغل غادر

فقابل بين النصح والوفاء ، والغل والغدر ، وهذه هى المقابلة الصحيحة أى أن المقابلة هى : ذكر معنيين فأكثر وما يقابلها بالتضاد ، وهو المعنى الذى استقرت علية أخيرا .

١٤ — التقسيم :

وقد سبقه إليه الجاحظ وقدامة وأبو هلال ، كما ورد المصطلح أيضاً عند الأصمعى . وقد تحدث ابن رشيق عن خلاف العلماء فى التقسيم ، وذكر شواهد من جيد التقسيم شعراً ونثرا . ثم قال : ومن التقسيم نوع يسمى جمع الأوصاف أو التعقيب ومن أنواع التقسيم التقطيع . كقول النابغة :

وقه عينا من رأى أهل قبة أضر لمن عادى وأكثر نافعاً
وأعظم أحلاما وأكبر سيداً وأفضل مشفوعاً إليه وشافعاً[٢]

وإذا كان تقطيع الأجزاء مسجوعاً أو شبيها بالمسجوع فهو الترصيع عند قدامة كما سبق .

١٥ — التسهيم :

هو الإرصاد أيضا عند المتأخرين ، وقد سبق إليه ابن المقفع ، وإن لم يسمه ، وكذلك الخليل بن أحمد ، وسماه قدامة « التوشيح » ، وكذلك أبو هلال ، وسماه على بن هارون المنجم « التسهيم » ، كما يذكر ابن رشيق . وأما ابن وكيع فسماه « المطمع »[١]

---

(١) العمدة ٢ / ١٥ .
(٢) المصدر السابق ٢/٣١

(١) المصدر السابق ٢ / ٢٥

ومأخذ هذه التسمية من تسهيم البرود ، وهو أن ترى ترتيب الألوان فتعلم إذا أتى أحدها ما يكون بعده . فأما تسميته « المطمع » فراجعه إلى ما فيه من سهولة الظاهر وقلة التكلف ، فإذا حوول امتنع وبعد مرامه[٢]

ويذكر ابن رشيق أنه أنواع : منه مايشبه المقابلة ، وهو اختيار الحاتمى كقول جنوب أخت عمرو ذى الكلب :

فأقسم ياعمرو لونبهاك إذا نبها منك داء عضالا
إذا نبها ليث عريسة مفيتاً مفيدا نفوسا ومالا

تريد : «مفيتا نفوسا ، ومفيدا مالا» فقابلت مفيتا بالنفوس ، ومفيدا بالمال . ثم نبه على أن سر الصنعة فى هذا الباب : هو أن يكون معنى البيت مقتضيا قافيته ، وشاهدا بها دالا عليها كقول الراعى :

وإن وزن الحصى فوزنت قومى وجدت حصى ضريبتهم رزينا

فهذا النوع الثانى هو أجود من الأول للطف موقعه[١] والنوع الثالث: شبيه بالتصدير ، وهو دون صاحبيه كقول العباس بن مرداس :

هم سودوا هجنا وكل قبيلة يبين عن أحسابها من يسودها

« وإن تأملت ما هذه سبيله لم تجد لقوافيه من لطف الموقع مالقافية الراعى ، وإنما اختير هذا النوع على الآخرين ؛ لأن كل واحد منهما مدلول عليه من جهة اللفظ : إما بترتيب ، وأما باشتراك المجانسة . والقافية فى بيت الراعى دالة على نفسها بالمعنى وحده ، فصار استخراجها أعجب وأغرب ، وتمكنها أشد وأوكد »[٢] .

فقافية القصيدة توجبه ، ونظام المعنى يقتضيه ، وأول البيت يدل على آخره .

---

(٢) المصدر السابق ٣٤/٢ .

(٢ ، ٣) المصدر السابق ٢ / ٣٢ .

١٦ — التفسير :

سبق إليه قدامة وتابعه ابن رشيق فعرفه بقوله : « هو أن يستوفى الشاعر شرح ما ابتدأ به مجملا ، وقلما يجيء هذا إلا فى أكثر من بيت واحد كقول الفرزدق :

لقد جئت قوما لو لجأت إليهم
طريد دم أو حاملا ثقل مغرم

لألفيت منهم معطياً ومطاعنا
وراءك شزراً بالوشيج المقوم[1]

ومن التفسير ما يفسر فيه الأكثر بالأقل ، وهو من باب الإيجاز والاختصار .

١٧ — الاستطراد :

ترجع هذه التسمية إلى أبى تمام كما سبق القول ، وهو « حسن الخروج » عند ابن المعتز ، وهو « الاستطراد » عند أبى هلال[2] .

وقد عرفه ابن رشيق بقوله : « هو أن يرى الشاعر أنه فى وصف شىء ، وهو إنما يريد غيره ، فإن قطع أو رجع إلى ما كان فيه فذلك استطراد ، وإن تمادى فذلك خروج ، وأكثر الناس يسمى الجميع استطراداً »[3] .

فابن رشيق يفرق بين الخروج والاستطراد على أساس رجوع الشاعر إلى المعنى الأول أو عدم رجوعه وتماديه فى المعنى الذى انتقل إليه ، فالأول هو « الاستطراد » والثانى هو « الخروج » .

---

(١) العمدة ٣٥/٢ (٢) الصناعتين / ٤١٤
(٣) العمدة ٣٩/٢

ويذكر ابن رشيق أن أصل الاستطراد على ما يقال : « أن يريك الفارس أنه يفر ليكر »[1] وهذا أمر لا بد فيه من عنصر المفاجأة ، ولذلك يكثر مجيء الاستطراد فى غرض الهجاء ، دون المدح ، لأن المدح متوقع سلفاً ، والممدوح متهيء لسماعه فلا مفاجأة فيه .

ومن الاستطراد نوع يسمى الإدماج « وذلك كقول عبيد الله ابن طاهر :

أبى الدهر من إسعافنا فى نفوسنا
وأسعفنا فيمن نحب ونكرم

فقلت له : نعماك فيهم أتمها
ودع أمرنا إن المهم المقدم[2]

فهذه الأنواع متداخلة ، وإن اختص كل منها بخاصية لا تكون فى غيره ، إلا أنها فى النهاية تلتقى فى إطار واحد هو « الانتقال من معنى إلى معنى آخر » .

١٨ — التفريع :

وهو من الاستطراد كالتدريج من التقسيم وأما تعريفه فهو « أن يقصد الشاعر وصفاً ثم يفرع منه وصفاً آخر ، يزيد الموصوف توكيدا كقول الكميت :

أحلامكم لسقام الجهل شافية
كما دماؤكم تشفى من الكلب

فوصف شيئا ، ثم فرع شيئا آخر ، لتشبيه شفاء هذا بشفاء هذا »[3].

---

(١) المصدر السابق ٤١/٢ (٢) المصدر السابق ٤١/٢
(٣) العمدة ٤٢/٢

١٩ — الالتفات :

ذكر ابن رشيق أنه « الاعتراض » عند قوم ، و « الاستدراك » عند آخرين ، وسبيله : أن يكون الشاعر آخذاً فى معنى ، ثم يعرض له غيره ، فيعدل عن الأول إلى الثانى فيأتى به ، ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل بشىء مما يشد الأول كقول كثير :

لو ان الباخلين وأنت منهم
رأوك تعلموا منك المطالا[١]

فقوله : « وأنت منهم » اعتراض كلام فى كلام عند ابن المعتز ، وقد أفرده عن « الالتفات » وسائر الناس يجمع بينهما ، والأمثلة التى أوردها ابن رشيق تصلح للاعتراض والالتفات .

٢٠ — الاستثناء :

وهو « توكيد المدح بما يشبه الذم» عند ابن المعتز، وليس «الاستثناء» هنا هو الاستثناء النحوى بحروفه المعروفة ، وإنما هو اصطلاح أطلقه الحاتمى وأصحابه على هذا النوع من البديع[٢] ومن مليح هذا النوع قول أبى هفان :

ولا عيب فينا غير أن سماحنا
أضر بنا والبأس من كل جانب

فأفنى الردى أرواحنا غير ظالم
وأفنى الندى أموالنا غير عائب[٣]

فقوله : « إن السماح والبأس أضربهم » ليس بعيب على الحقيقة ،

---

(١) المصدر السابق ٤٥/٢
(٢) المصدر السابق ٤٨/٢
(٣) المصدر السابق ٤٨/٢

ولكن توكيد مدح ، والمليح كل المليح قوله « غير ظالم . وغير عاتب » فهذا الثانى أعجب من الأول وألطف موقعا .

٢١ — التتميم :

أشار إلى إنه يسمى « التمام » أيضا . وهو الاعتراض عند ابن المعتز، وهو إصابة المقدار عند الجاحظ ، وهو التتميم والتكميل عند أبى هلال ، ومعنى التتميم عند ابن رشيق: أن يحاول الشاعر معنى، فلا يدع شيئا يتم به حسنه إلا أورده وأتى به ، إما مبالغة ، وإما احتياطاً واحتراساً من التقصير ، ثم مثل له بقول طرفة :

فسقى ديارك غير مفسدها   صوب الربيع وديمة تهمى

فقوله « غير مفسدها » تتميم للمعنى ، واحتراس للديار من الفساد بكثرة المطر[1] .

وأمثلة أخرى كثيرة لا تخرج عما ذكره ابن المعتز وقدامة وأبو هلال تقريبا .

٢٢ — المبالغة :

وهى عنده ضروب كثيرة ، والناس فيها مختلفون بين الرفض والقبول ، ولكن ابن رشيق لا يؤيد الرفض التام ، ولا القبول المطلق لهذه المبالغة ، بل يستجيد بعضها ، ويرفض غيره « فمن أحسن المبالغة وأغربها عند الحذاق : التقصى ، وهو بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن من وصف الشىء كقول عمرو بن الأيهم التغلبى :

ونكرم جارنا ما دام فينا   ونتبعه الكرامة حيث كانا

فأما الغلو فهو الذى ينكره من ينكر المبالغة بأنواعها . . . ولو بطلت المبالغة كلها وعيبت لبطل التشبيه ، وعيبت الاستعارة إلى كثير من محاسن الكلام »[2] .

---

(١) العمدة ٢/٥٠   (٢) المصدر السابق ٢/٥٥

ومن معجز المبالغة قول الله عز وجل : « سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » فجعل من يسر القول كمن يجهر به ، والمستخفى بالليل كالسارب بالنهار ، وكل واحد منهما أشد مبالغة فى معناه ، وأتم صفة [١] .

٢٣ — الإيغال :

يرى ابن رشيق أنه ضرب من المبالغة إلا أنه فى القوافى خاصة لا يعدوها . وقد تقدمت الإشارة إلى نشأة هذا النوع على يد الأصمعى وقدامة وأبى هلال ، وهو « التبليغ عند الحاتمى وأصحابه [٢] .

وهو يفرق بين الإيغال والتتميم بقوله : « وليس بين الإيغال والتتميم كبير فرق إلا أن هذا فى القافية لا يعدوها ، وذلك فى حشو البيت » [٣] .

٢٤ — الغلو :

يذكر من أسمائه أيضاً : « الإغراق والإفراط » . واشتقاق الغلو من المغالاة ومن غلوة السهم ، وهى مدى رميته . وهو لا يرى أن فضيلة الشاعر فى معرفته بوجوه الإغراق والغلو .

فقد قال الحذاق : « خير الكلام الحقائق ، فإن لم تكن فما قاربها وناسبها » [٤] .

وأصح الكلام عند ابن رشيق : ما قام عليه الدليل ، وثبت فيه الشاهد

---

(١) المصدر السابق ٢/٥٦ . (٢) المصدر السابق ٢/٥٧ .
(٣) المصدر السابق ٢/٦٠ . (٤) العمدة ٢/٦٠ .

من كتاب الله تعالى ونحن نجده قد قرن فيه الغلو بالخروج عن الحق فقال عز وجل: «يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق»، ثم ذكر أمثلة للغلو عند القدماء والمولدين. وقال: «وأحسن الإغراق مانطق فيه الشاعر أو المتكلم بكاد أو ماشا كلها نحو كأن، ولو، ولولا وما أشبه ذلك. وما أعجب قول زهير:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم
قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

فبلغ ما أراد من الإفراط، وبنى كلامه على صحة»[1].

٢٥ — التشكيك:

يرى ابن رشيق أنه من ملح الشعر وطرف الكلام، وله فى النفس حلاوة وحسن موقع بخلاف ما للغلو والإغراق، وفائدته: الدلالة على قرب الشبهين حتى لا يفرق بينهما، ولا يميز أحدهما من الآخر. وذلك نحو قول زهير:

وما أدرى وسوف إخال أدرى
أقوم آل حصن أم نساء[2]

وهذا هو ما أطلق عليه ابن المعتز «تجاهل العارف»، وأبو هلال «تجاهل العارف ومزج الشك باليقين»، وقد سماه السكاكى «سوق المعلوم مساق غيره».

---

(١) المصدر السابق ٢ / ٦٤.
(٢) المصدر السابق ٢ / ٦٦.

٢٦ — الحشو وفضول الكلام :

سماه قوم « الاتكاء » . وهو أن يكون فى داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى ، وإنما أدخله الشاعر لإقامة الوزن . فإن كان ذاك فى القافية فهو استدعاء ، وقد يأتى فى حشو البيت ما هو زيادة فى حسنه وتقوية لمعناه كالتتميم والالتفات والاستثناء[1] فالاستدعاء معيب مرذول والنوع الثانى يأتى لفائدة فهو من ألوان البديع .

٢٧ — الاستدعاء :

ومعناه : « ألا يكون للقافية فائدة إلا كونها قافية فقط . فتخلو حينئذ من المعنى كقول عدى القرشى :

ووقيت الحتوف من وارث وا
ل وأبقـــاك صالحاً رب هود

فإنه لم يأت لهود النبى عليه السلام ههنا معنى إلا كونه قافية »[2] . وإذا كانت القافية مجلوبة ، لموافقة نظام القافية فى القصيدة فهذا تكلف واستكراه ، وليس من البديع فى شىء .

٢٨ — التكرار :

يقول : « وللتكرار مواضع يحسن فيها ، ومواضع يقبح فيها ، فأكثر ما يقع التكرار فى الألفاظ دون المعانى ، وهو فى المعانى دون الألفاظ أقل . فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك هو الخذلان بعينه »[3] ثم يتحدث عن أغراض التكرار ، ومواضعه « ولا ينبغى

---

(١) المصدر السابق ٢ / ٦٩ . (٢) العمدة ٢ / ٧٣ .
(٣) المصدر السابق ٢ / ٧٣ ، ٧٤ .

للشاعر أن يكرر اسماً إلا على جهة التشوق والاستعذاب فى تغزل أو نسيب . أو على سبيل التنويه به فى المدح . أو على سبيل التقرير والتوبيخ أو على سبيل التعظيم للمحكى عنه ، أو على جهة الوعيد والتهديد فى مقام عتاب موجع ، أو على وجه التوجع فى الرثاء ، وذكر أمثلة لكل موضع .

٢٩ — المذهب الكلامى :

أشار إلى صنيع ابن المعتز فى إسناد تسميته إلى الجاحظ ، وأنه لم يعثر له فى القرآن الكريم على شاهد ، وأنه ينسب إلى التكلف تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وهو يعترض على ابن المعتز حيث يجعله من البديع ثم ينسبه إلى التكلف ، وذكر أمثلة له[1] .

٣٠ — نفى الشىء بإيجابه :

يقول ابن رشيق : « وهذا الباب من المبالغة ، وليس بها مختصاً ، إلا أنه من محاسن الكلام ، فإذا تأملته وجدت باطنه نفياً ، وظاهره إيجاباً كقول امرىء القيس :

على لاحب لا يهتدى بمنـــاره .
إذا سافه العود النباطى جرجرا

فقوله « لا يهتدى بمناره » لم يرد أن له مناراً لا يهتدى به ، ولكن أراد أنه لا منار له فيهتدى بذلك المنار[2] . وهذا الأسلوب وردت فيه إشارات عند السابقين كقول أبى سعيد السكرى ت ٢٧٥ هـ فى بيت امرىء القيس :

على لاحب لا يهتدى بمناره

---

(١) المصدر السابق ٢ / ٧٨ . (٢) المصدر السابق ٢ / ٨٠ .

« لايريد أن فيه مناراً لايهتدى به . يقول : ليس فيه منار ألبتة ، ومثله : فلان لايرجى خيره أى ليس فيه خير »[1] . كما عرض المبرد ت ٢٨٥ هـ للمثل العربى « هذا أمر لاينادى وليده » .

فقد ذكر فى معناه قولين : أحدهما : أنه ليس له وليد فيدعى »[2] . وتحدث ابن جنى عن هذا الأسلوب أيضا فى الخصائص . لكن ابن رشيق هو الذى سماه « نفى الشيء بإيجابه » .

٣١ — الاطراد :

جعله ابن رشيق من حسن الصنعة . وهو أن تطرد للشاعر أسماء متتالية من غير كلفة ولا حشو فارغ ، فإنها إذا اضطردت دلت على قوة طبع الشاعر وقلة كلفته كقول الأعشى :

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد
وأنت امرؤ ترجو شبابك وائل

فأتى كالماء الجارى اطراداً وقوة كلفة ، وبين النسب حتى أخرجه عن مواضع اللبس والشبهة .

وأحسن من هذا قول ابن دريد بن الصمة :

قتلنا بعبد الله خير لداته
ذواب بن أسماء بن زيد بن قارب[3]

وإنما كان أحسن من الأول ؛ لأن الأسماء المطردة جاءت فى عجز البيت ، ولما سمع عبد الملك بن مروان قول دريد قال كالمتعجب : لولا القافية لبلغ به آدم .

---

(١) شرح أشعار الهذليين ١ / ٣٥ .
(٢) الكامل ١ / ٢٥٨ . (٣) العمده ٢ / ٨٢ .

٣٢ - التضمين والإجازة :

عرف التضمين بقوله : « هو قصدك إلى البيت من الشعر أو القسيم ، فتأتى به فى آخر شعرك أو فى وسطه كالمتمثل »[1] ومن الشعراء من يقلب البيت فيضمنه معكوساً ، ومن التضمين ما يجمع فيه الشاعر قسمين من وزنين كقول على بن الجهم :

كلما غنى بنان   اسمعى أو خبرينا

أنشدت فضل ألاحييت عنا يا مدينا

وأما الإجازة « فهى بناء الشاعر بيتا أو قسيما يزيده على ماقبله ، وربما أجاز بيتا أو قسيما بأبيات كثيرة » . ومن هذا الباب نوع يسمى التمليط : وهو أن يتساجل الشاعران فيصنع هذا قسيما وهذا قسيما ، لينظر أيهما ينقطع قبل صاحبه »[2] كما حدث بين امرىء القيس والتوأم اليشكرى .

٣٣ - الإتساع :

وهو أن يقول الشاعر بيتا يتسع فيه التأويل ، فيأتى كل واحد بمعنى ، وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته وإتساع المعنى[3] ، ومن ذلك قول امرىء القيس :

مكر مفر مقبـــل مدبر معاً

كجلمود صخر حطه السيل من عل

فقد وردت ثلاثة أقوال فى تأويل معناه ، وهذا لاحتمال اللفظ وقوته واتساع معناه .

---

(١) المصدر السابق ٨٤/٢   (٢) العمدة ٩١/٢

(٣) المصدر السابق ٩٣/٢

٣٤ – الاشتراك :

جمله نوعين : ما يكون فى اللفظ ، وما يكون فى المعنى ، ثم قسم الأول ثلاثة أقسام :

أحدها : أن يكون اللفظان راجعين إلى حد واحد ، ومأخوذين من حد واحد ، فذلك اشتراك محمود وهو التجنيس .

والثانى : أن يحتمل اللفظ تأويلين أحدهما يلائم المعنى الذى أنت فيه ، والآخر لا يلائمه ، والمليح منه قول كثير :

لعمرى لقد حببت كل قصيرة　　إلى وما تدرى بذاك القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد

قصار الخطا شر النساء البحاتر(١)

والثالث : ليس من هذا فى شىء وهو سائر الألفاظ المبتذلة للتكلم بها لا يسمى تناولها سرقة ، ولا تداولها اتباعا ، لأنها مشتركة بين الناس جميعاً . لا أحد أولى بها من الآخر ، فهى مباحة إلا أن تدخلها استعارة أو تصحبها قرينة تزيد فيها معنى أو تفيد فائدة فحينئذ يتميز الناس ويسقط الاشتراك الذى يقوم به العذر .

وأما الاشتراك فى المعانى فنوعان :

أحدهما أن يشترك المعنيان وتختلف العبارة عنهما فيتباعد اللفظان ، وهذا جيد مستحسن .

والثانى على ضربين : أحدهما ما يوجد فى الطباع من تشبيه الجاهل بالثور والحمار ونحوه .

---

(١) المصدر السابق ٢/٩٦

وثانيهما : ضرب كان مخترعا فكثر حتى استوى الناس فيه ، وتواطأ عليه الشعراء[(١)] كتشبيه الخد بالورد ، فهذا النوع كان مخترعا ثم تساوى فيه الناس إلا إذا استطاع أحدهم أن يولد فيه زيادة أو يخصه بقرينة فيستحق الانفراد به دون الآخرين .

٣٥ — للتغاير :

« وهو أن يتضاد المذهبان فى المعنى حتى يتقاوما ، ثم يصحا جميعا . وذلك من افتنان الشعراء وتصرفهم وغوص أفكارهم »[(٢)] . وقد مثل له بأمثلة كثيرة منها قول أبى الشيص :

أجد الملامة فى هواك لذيذة حباً لذكرك فليلمنى اللوم

وقول المتنبى فى عكسه :

أأحبه وأحب فيه ملامة ؟ إن الملامة فيه من أعدائه

فأتى الثانى بضد ما أتى الأول فى المعنى ، وهـــذا عند الجرجانى هو « النظر والملاحظة » .

تعقيب :

هذه هى ألوان البديع عند ابن رشيق ، وقد عرضها عرضاً أدبياً جذاباً يجمع بين الدقة العلمية والروح الأدبية ، فقد كان دقيقاً فى التفريق بين الأنواع ، وتمييز الأضرب المتداخلة منها ، كتمييزه بين « الاستطراد وحسن الخروج من معنى إلى معنى آخر » وكذلك تمييزه بين أنواع الإشارة لأول مرة وهى الإيماء والتعريض والتلويح والكناية والتمثيل والرمز واللمحة واللغز واللحن والتعمية والحذف والتورية والتتبيع .

---

(١) المصدر السابق ٢/١٠٠ (٢) العمدة ٢/١٠٠

وهو يحسن اختيار الشواهد من فصيح الكلام شعراً ونثراً ، ولا يكتفى بذكرها بل يعقب عليها ، ويبدى رأيه فيها بروح الأديب الناقد الذى يجيد تذوق الأدب .

وابن رشيق متأثر بقدامة فى أكثر مباحث الكتاب ، ولكنه يتمتع بشخصية متميزة برزت بشكل واضح فى كتابه ، فهو يناقش آراء العلماء ويرجح ما يتراءى له منها أنه الحق وهو يميل إلى التوسط والاعتدال كما فى باب « المبالغة » فهو لا يرفضها مطلقا ولا يقبلها مطلقا بل يقف موقفاً وسطا هو عين الصواب ، والاستعارة الحسنة عنده وسط بين القريبة المبتذلة والبعيدة النافرة ، وخير الأمور أوسطها .

ولكنى آخذ عليه أنه جعل التشبيه من المجاز ، وكذلك الكناية ، مع أن التشبيه معنى من المعانى التى هى فعل المتكلم ، والمعانى لا توصف بحقيقة ولا بمجاز ، وإنما يوصف بها الألفاظ فقط ، وكل من الطرفين فى التشبيه مستعمل فى معناه الحقيقى كما هو معلوم ، أما إلحاق أحد الطرفين بالآخر فهو من المعانى (مصدر) لا يوصف بشىء من ذلك ، وإن كان قد أحسن فى دراسة إرتباط التشبيه بالبيئة ، وبيان أثر الزمان والمكان فى هذا النوع من البديع .

• • •

البديع عند ابن سنان الخفاجى ت ٤٦٦ ﻫ :

كان ابن سنان معاصراً لابن رشيق ، وقد ألف كتابه « سر الفصاحة » لبيان حقيقة الفصاحة وما يتعلق بها ، وشروط الفصاحة فى المفرد وفى التركيب ، والفرق بين الفصاحة والبلاغة لأول مرة ، فالفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ ، والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعانى ، وكل كلام بليغ فصيح ، وليس كل فصيح بليغا[1] .

---

(١) سر الفصاحة / ٤٩ ، ٥٠

والذى يعنينى الآن هو ألوان البديع عند ابن سنان الخفاجى وهى على النحو التالى :

١ — حسن الاستعارة :

يقول : « ومن وضع الألفاظ موضعها حسن الاستعارة وقد حدها الرمانى فقال : هى تعليق العبارة على غير ما وضعت له فى أصل اللغة على جهة النقل للإبانة[1] .

ويمضى ابن سنـــان فيفرق بين الاستعارة والتشبيه ، ثم يجعل الاستعارة على ضربين : قريب مختار ، وبعيد مطرح . فالقريب المختار ما كان بينه وبين ما استعير له تناسب قوى وشبه واضح ، والبعيد المطروح إما أن يكون لبعده مما استعير له فى الأصل أو لأجل أنه استعارة مبنية على استعارة فتضعف لذلك . وبين الطرفين وسائط تتنزل بحسب نسبتها إلى الطرفين . ثم أشار إلى صنيع الرمانى فى استعارات القرآن وموازنته بين الحقيقة والاستعارة حتى يبين فضل الاستعارة على الأصل .

وذلك كما فى قوله تعالى : « والصبح إذا تنفس » لأن تنفس هنـا مستعار ، وحقيقته بدأ انتشاره . و « تنفس » أبلغ ، لمـا فيه من التروح عن النفس .

٢ — الحشو :

يقول ابن سنان : ومن وضع الألفاظ موضعها ألا تقع الكلمة حشواً ، وأصل الحشو أن يكون المقصد بها إصلاح الوزن أو تناسب القوافى وحرف الروى إن كان الكلام شعراً وقصد السجع إن كان نثراً . من غير معنى تفيده أكثر من ذلك[2] .

---

(١) المصدر السابق / ١٠٨ (٢) المصدر السابق /١٣٧

فالحشو عنده نوعان : مفيد وغير مفيد وذكر أمثلة لكل منهما فمثال المفيد قول الشاعر :

إن الثمانين وبلغتها
قد أحوجت سمعي إلى ترجمان [1]

فأما قول أبي الطيب :

ولا فضل فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

فإن « الندى » فيه حشو يفسد المعنى ، وذلك أن مقصوده : أن الدنيا لا فضل فيها للشجاعة والصبر لولا الموت ، لأن الشجاع إذا علم أنه يخلد فأي فضل لشجاعته ؟

وكذلك الصابر . فأما الندى فمخالف لذلك ، لأن الإنسان إذا علم أنه يموت هان عليه بذل ماله . ويقول إذا عوتب في بذله : كيف لا أبذل مالا أبقى له ؟ وهذا أمر واضح .

٣ — التوشيح (التسهيم) :

نقل ابن سنان عن الآمدي كلاما في التفريق بين المعاظلة وغيرها ، فالمعاظلة مذمومة أما الكلام الذي يدل بعضه على بعض ، ويأخذ بعضه برقاب بعض فهو محمود ، والشعر الجيد أو أكثره مبني على هذا ، فالكلام الذي يدل بعضه على بعض حتى يمكن استخراج قوافيه إن كان شعراً ، ويكون بعض البيت شاهداً لبعض ، هو المحمود من الكلام . وبعض الناس يسمى هذا الفن من الشعر التوشيح ، وبعضهم يسميه التسهيم ومثاله قول الشاعر :

---

(١) المصدر السابق / ١٣٨

عجبت لسعى الدهر بينى وبينها
فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر [1]

٤ — حسن الكناية :

هى عنده من وضع الألفاظ موضعها يقول : « ومن هذا الجنس حسن الكناية عما يجب أن يكنى عنه فى الموضع الذى لا يحسن فيه التصريح ، وذلك أصل من أصول الفصاحة وشرط من شروط البلاغة » [2] وهى من نعوت الفصاحة والبلاغة حيث « يراد الدلالة على المعنى ، فلا يستعمل اللفظ الخاص به فى اللغة ، بل يؤتى بلفظ يتبع ذلك المعنى ضرورة فيكون فى ذكر التابع دلالة على المتبوع . وهـذا يسمى الإرداف والتتبع ، والأصل فى حسن هذا أنه يقع فيه من المبالغة فى الوصف ما لا يكون فى نفس اللفظ المخصوص بذلك المعنى » [3] ،

وقد ذكر له أمثلة الكناية المشهورة عند امرىء القيس وعمر ابن أبى ربيعة وغيرهما .

٥ — السجع والازدواج :

جعلهما ابن سنان من التناسب بين الألفاظ فى الصيغة [4] ، فالسجع هو تماثل الحروف فى مقاطع الفصول [5] ولم يذكر تعريف الازدواج ، ويبدو أنهما مترادفان عنده .

ثم تحدث عن حكم السجع والازدواج ، فى الكلام بين الإباحة والحظر ، فبعض الناس يذهب إلى كراهة السجع والازدواج ، وبعضهم

---

(١) سر الفصاحة / ١٥٢ (٢) المصدر السابق / ١٥٥ ، ١٥٦
(٣) المصدر السابق / ٢٢١ (٤) المصدر السابق / ١٦٣
(٥) سر الفصاحة / ١٦٣

يستحسنه ويقصده كثيراً . والذى يراه ابن سنان أن السجع لا يخلو من أن يكون مطبوعا سهلا تابعاً للمعانى . أو يكون متكلفاً يتبعه المعنى . فالأول هو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان . والثانى مذموم مرفوض [١] .

٦ — الترصيع :

هو مسبوق إلى هذا النوع بقدامة الذى جعله من نعت الوزن . يقول ابن سنان : « وهو أن يعتمد تصيير مقاطع الأجزاء فى البيت المنظوم أو الفصل من الكلام المنثور مسجوعة : وكأن ذلك شبه بترصيع الجوهر فى الحلى ، وإنما يحسن إذا وقع قليلا غير نافر » [٢] وأمثلته هى التى ذكرها قدامة والعسكرى .

٧ — الجناس :

هو من التناسب بين الألفاظ . ومعناه « أن يكون بعض الألفاظ مشتقاً من بعض إن كان معناهما واحداً ، أو بمنزلة المشتق إن كان مختلفا ، أو تتوافق صيغتا اللفظين . مع اختلاف المعنى » [٣] وهذا التعريف شامل للجناس التام وجناس الاشتقاق . وهذا إنما يحسن إذا كان قليلا لا تكلف فيه .

« فهذه الألوان الثلاثة: السجع والترصيع والجناس من شروط الفصاحة للمناسبة بين الألفاظ فى الصيغ . وهى من أبرز المحسنات اللفظية عند المتأخرين » [٤] .

---

(١) سر الفصاحة / ١٦٥
(٢) المصدر السابق / ١٨٢
(٣) المصدر السابق / ١٨٥
(٤) الصبغ البديعى / ٢١٢

٨ — المطـــابق :

هو الجمع بين الضدين فى رأى جميع البلاغيين إلا قدامة الذى سماه « المتكافىء » ويذكر ابن سنان أن بعضهم قسم التضاد إلى : الطباق والمقابلة والسلب والإيجاب ثم يختار تسمية الجميع بالمطابق ، لأن الطبق للشيء إنما قيل له طبق لمساواته إياه فى المقدار إذا جعل عليه أو غطى به ، وإن اختلف الجنسان[١] . ولا يستحسن منه إلا ماقل بلا تكلف ، وهو يجرى مجرى الجناس فى ذلك .

٩ — التبـــديل :

يقول ابن سنان : « ومما يجرى مجرى المطابق أن يقدم فى الكلام جزء ألفاظه منظومة نظاماً ، ويتلى بآخر يجعل فيه ما كان مقدماً فى الأول مؤخراً فى الثانى ، وما كان مؤخراً مقدماً »[٢] وقد سمى قدامة هذا الفن « التبديل » وذلك فى كتابه « جواهر الألفاظ » ويسميه أبو هلال « العكس » . وأطلق عليه المتأخرون « العكس والتبديل » .

١٠ — الإيجاز والاختصار :

يقول ابن سنان : « ومن شروط الفصاحة والبلاغة : الإيجاز والاختصار وحذف فضول الكلام ، حتى يعبر عن المعانى الكثيرة بالألفاظ القليلة . . . وقد قسموا دلالة الألفاظ على المعانى ثلاثة أقسام:

أحدها : المساواة وهو أن يكون المعنى مساوياً للفظ .

وثانيها : التذييل وهو أن يكون اللفظ زائداً على المعنى وفاضلا عنه .

---

(١) سر الفصاحة / ١٩٢ . (٢) سر الفصاحة / ١٩٥ .

والثالث : الإشارة وهو أن يكون المعنى زائدا على اللفظ ، أى أنه لفظ موجز يدل على معنى طويل على وجه الاشارة واللمحة»[١]. وقد ساق أمثلة لكل نوع منها وحللها تحليلا دقيقا ينبىء عن وعى ببلاغة هذه الأساليب ، ولكنه جعل « التذييل » مرادفاً للإطناب فقال : « المساواة والتذييل والإيجاز » مع أن التذييل نوع واحد من أنواع الإطناب عند المتأخرين .

١١ — التمثيل :

ختم حديثه عن نعوت الفصاحة والبلاغة بالتمثيل « وهو أن يراد معنى فيوضح بألفاظ تدل على معنى آخر ، وذلك المعنى مثال للمعنى المقصود»[٢].

وهذا هو ما يعرف عند المتأخرين بالاستعارة التمثيلية ، وسبب حسنه أن تمثيل المعنى يوضحه ويخرجه إلى الحس والمشاهدة بالإضافة إلى ما فيه من الإيجاز .

وبعد أن انتهى من الحديث عن الألفاظ مفردة ومركبة أخذ يتحدث عن المعانى وأوصافها التى تطلب منها وهى: الصحة والكمال والمبالغة والتحرز مما يوجب الطعن ، والاستدلال بالتمثيل والتعليل وغير ذلك[٣] ، ووشح كلامه بأمثلة شعرية ونثرية ، وهى على النحو التالى :

١٢ — الصحة فى التقسيم :

يقول ابن سنان : « أما الصحة فى التقسيم فأن تكون الأقسام المذكورة

---

(١) المصدر السابق / ١٩٧ — ١٩٩

(٢) » » / ٢٢٣

(٣) » » / ٢٢٥ — ٢٢٦

لم يخل بشيء منها ، ولا تكررت ، ولا دخل بعضها تحت بعض » ومثال هذا فى النظم قول نصيب :

فقال فريـق القوم لا وفريقهم
نعم وفريق قال ويحك ما ندرى

فليس فى أقسام الإجابة عن مطلوب إذا سئل عنه غير هذه الأقسام »[1] .

١٣ — صحة التشبيه :

وهو أن يقال : أحد الشيئين مثل الآخر فى بعض المعانى والصفات لا فى جميع الوجوه حتى لا يعقل بينهما تغاير ألبتة ، لأن هذا لو جاز لكان أحد الشيئين هو الآخر بعينه ، وذلك محال .

ثم يقول : « والأصل فى حسن التشبيه أن يمثل الغائب الخفى الذى لا يعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد ، فيكون حسن هذا لأجل إيضاح المعنى وبيان المراد ، أو يمثل الشيء بما هو أعظم وأحسن وأبلغ منه ، فيكون حسن ذلك لأجل الغلو والمبالغة »[2] وقد ذكر شواهد كثيرة بعضها لظريف التشبيه وبديعه ، وبعضها لردىء التشبيه .

١٤ — صحة الأوصاف فى الأغراض :

وهو أن يمدح الإنسان بما يليق به ولا ينفر عنه ، فيمدح الخليفة بتأييد الدين وتقوية أمره ، ومحبة الناس وطاعتهم . . . ويمدح الوزير والكاتب بالعقل والحلم وسداد الرأى وحسن التدبير والبلاغة ... ويمدح

(١) سر الفصاحة / ٢٢٦
(٢) المصدر السابق / ٢٣٧

الأمير والقائد بالشجاعة والمعرفة بالحروب والظفر والصبر وما أشبه ذلك»[١] وكذلك فى كل غرض من الأغراض الشعرية من هجاء وفخر وعتاب ووصف . . . حتى يكون كل شىء موضوعا فى الموضع الذى يليق به .

١٥ — صحة المقابلة فى المعانى :

وهو أن يضع مؤلف الكلام معانى يريد التوفيق بين بعضها وبعض والمخالفة فيأتى فى الموافق بما يوافق، وفى المخالف بما يخالف على الصحة[٢] وهذا هو تعريف قدامة تقريباً وقد مثل للمقابلة الفاسدة بقول أبى عدى القرشى :

يا ابن خير الأخيار من عبد شمس
أنت زين الدنيا وغيث الجنود

فليس «غيث الجنود» مقابلا لزين الدنيا، ولا موافقا، وعلى ذلك فالمقابلة فاسدة .

١٦ — صحة النسق والنظم :

وهو أن يستمر فى المعنى الواحد، وإذا أراد أن يستأنف معنى آخر أحسن التخلص إليه حتى يكون متعلقاً بالأول وغير منقطع عنه، كخروج الشعراء من النسيب إلى المدح، فقد أجاد فيه المحدثون حتى صار كلامهم فى النسيب متعلقا بكلامهم فى المدح، أما المتقدمون فلم يحفلوا به[٣] .

---

(١) المصدر السابق / ٢٤٧
(٢) المصدر السابق / ٢٥٨
(٣) سر الفصاحة / ٢٥٩

١٧ — صحة التفسير :

« وهو أن يذكر مؤلف الكلام معنى يحتاج إلى تفسيره، فيأتي به على الصحة من غير زيادة ولا نقص »[1] وهو تعريف قدامة السابق، كما مثل بمثاله أيضا، مع أمثلة أخرى .

١٨ — كمال المعنى « التتميم » :

يقول في تعريفه : « هو أن تستوفي الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل جودته، وذلك مثل قول نافع الغنوي :

رجال إذا لم يقبل الحق منهم
ويعطوه عادوا بالسيوف القواضب

فتمم المعنى بقوله « ويعطوه » ولو لم يذكره لبقي المعنى ناقصا »[2] .

فابن سنان يسمي التتميم « كمال المعنى » أما تعريفه فهو ما ذكره قدامة وأبو هلال .

١٩ — المبالغة في المعنى والغلو :

جعلهما ابن سنان مترادفين على معنى واحد، بعد أن فرق أبو هلال بين النوعين فجعل لكل منهما فصلا مستقلا، وكذلك ابن رشيق في العمدة .

وبعد أن تحدث عن اختلاف الناس في « المبالغة والغلو » قبولا ورفضا يميل إلى القبول، لأن الشعر مبني على الجواز والتسمح، إذا استعمل

---

(١) المصدر السابق / ٢٦٢
(٢) المصدر السابق / ٢٦٢

فيه « كاد » وما يجرى مجراها ، ليكون الكلام أقرب إلى الصحة[1] ،
وهو يجعل تأكيد المدح بما يشبه الذم من المبالغة كقول النابغة الذبيانى :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب

بهذا الاستثناء من المبالغة فى المدح ، لأنه قد دل به على أنه لو كان فيهم
عيب غيره لذكره .

٢٠ — التحرز مما يوجب الطعن :

عرفه بقوله : « أن يأتى بكلام لو استمر عليه لكان فيه طعن ، فيأتى
بما يتحرز به من ذلك الطعن » كقول طرفة :

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمى[2]

وهذا هو البيت الذى استشهد به قدامة على التتميم و كذلك أبو هلال
وابن رشيق ، بينما استشهد به ابن سنان على « التحرز مما يوجب الطعن » مع
أن هذا التحرز من الطعن تتميم للمعنى ، وبدونه يظل المعنى المقصود ناقصاً ،
فأى فرق بين النوعين ؟ !

٢١ — الاستدلال بالتمثيل :

ومعناه : « أن يزيد فى الكلام معنى يدل على صحته بذكر مثال له نحو
قول أبى العلاء :

لو اختصرتم من الإحسان زرتكم
والعذب يهجر للإفراط فى الخصر

فدل على أن الزيادة فيما يطلب ربما كانت سبباً للامتناع منه بتمثيل

---

(١) المصدر السابق /٢٦٣ (٢) سر الفصاحة /٢٦٥

ذلك بالماء الذى لا يشرب لفرط برده ، وإن كان البرد فيه مطلوباً محموداً»[1].

٢٢ — الاستدلال بالتعليل :

سبقه إليه أبو هلال فى « الاستشهاد والاحتجاج » فقد ذكر له أمثلة يرجع بعضها إلى التشبيه الضمنى وبعضها إلى حسن التعليل وبعضها إلى المذهب الكلامى .

أما ابن سنان فقد مثل له بقول أبى الحسن التهامى :

لو لم تكن ريقته خمـــرة   لما تثنى عطفه وهو صاح

وقوله تعالى : «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » جار هذا المجرى[2] والحق أن الآية الكريمة من المذهب الكلامى[3] ، وليست من « حسن التعليل » .

هذه هى ألوان البديع فى كتاب « سر الفصاحة » لابن سنان الخفاجى أوجزها فيما يلى :

١ — حسن الاستعارة .	٢ — الحشو .
٣ — التوشيح أو التسهيم .	٤ — حسن الكناية .
٥ — السجع والازدواج .	٦ — الترصيع .
٧ — الجناس .	٨ — المطابق .
٩ — التبديل .	١٠ — الإيجاز والاختصار .
١١ — التمثيل .	١٢ — صحة التقسيم .
١٣ — صحة التشبيه .	١٤ — صحة الأوصاف فى الأغراض .

---

(١) المصدر السابق / ٢٦٧   (٢) المصدر السابق / ٢٧٠
(٣) تحرير التحبير / ١١٩

١٥ — صحة المقابلة فى المعانى . ١٦ — صحة التناسق والنظم .
١٧ — صحة التفسير . ١٨ — كمال المعنى « التتميم » .
١٩ — المبالغة فى المعنى والغلو . ٢٠ — التحرز مما يوجب الطعن .
٢١ — الاستدلال بالتمثيل . ٢٢ — الاستدلال بالتعليل .

تعقيب :

بلغت ألوان البديع عند ابن سنان اثنين وعشرين نوعاً ، وقد وصلت عند ابن رشيق معاصره إلى خمسة وثلاثين نوعاً ، ومعنى ذلك أن ابن سنان كان يرد الألوان المتشابهة إلى أصل واحد كالسجع والازدواج والترصيع والموازنة وغير ذلك مما يرجع إلى شيء واحد فى مجموعه . كما كان يرفض بعض الألوان التى لا تعلق لها بنقد الكلام كقوله : « وذهب قوم إلى حسن « الترديد » وهو أن يعلق الشاعر لفظة فى البيت بمعنى ، ثم يرددها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر كما قال زهير :

من يلق يوما على علاته هرما   يلق السماحة منه والندى خلقا

وهذا عندى لا تعلق له بالنقد ، لأن التأليف فيه كسائر التأليف فى الألفاظ التى لا تستحق به حمداً ولا ذما ، ولا يكسبها حسناً ولا قبحا »[1] والذى ذكر « الترديد » هو ابن رشيق ، وكان أبو هلال يسميه « المجاورة » كما سلف القول ، وقد جعل « الإيغال » من الحشو المفيد .

ثم إنه جعل الطباق والمقابلة والسلب والإيجاب شيئا واحدا ، واختار تسمية الجميع بالمطابق[2] . كما تحدث عن « حسن التخلص » تحت اسم « صحة النسق والنظم » ، وعالج حسن التعليل تحت اسم « الاستدلال بالتعليل » وقد ألمح إليه أبو هلال فيما أطلق عليه « الاستشهاد والاحتجاج » .

(١) سر الفصاحة / ٢٧٧ . (٢) المصدر السابق / ١٩٢ .

ومما لاحظته أيضا أنه فرق بين التتميم والتكميل لأول مرة ، فسمى الأول « كمال المعنى » وسمى الثانى « التحرز مما يوجب الطعن » ولست أرى فارقا بينهما فى ضوء ما ذكره فى تعريف كل منهما والأمثلة التى ذكرها فى النوعين هى للتتميم عند سابقيه ، وقد اقتدى به المتأخرون فى التفريق بينهما. وهو يجعل المبالغة والغلو لفظين مترادفين ، ولم يفرق بينهما كما فعل أبو هلال وابن رشيق . وعلى الرغم من تفريقه بين التشبيه والاستعارة فإنه يخلط بينهما أحيانا فيجعل من التشبيه ما هو استعارة كقول الوأواء الدمشقى :

وأسبلت لؤلؤا من نرجس فسقت
وردا وعضت على العناب بالبرد

ويؤخذ عليه أنه جعل التذييل مرادفاً للإطناب حين قال « المساواة والتذييل والإيجاز » مع أن التذييل نوع من الإطناب « وليس مرادفاً له كما استقر على ذلك العرف البلاغى .

البديع عند عبد القاهر ت ٤٧١ هـ :

فى القرن الخامس الهجرى أيضا يأتى شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجانى صاحب « أسرار البلاغة » و « دلائل الإعجاز » فيخطو الدرس البلاغى على يديه خطوات إلى الأمام بل يصل إلى مرحلة النضج والاكتمال بحيث لا نبالغ إذا قلنا إن المتأخرين لم يضيفوا إلى ما كتبه عبد القاهر شيئا ذا بال ، اللهم إلا الجمع والترتيب والتقسيم ووضع الحدود « بإخراج المحترزات » وإضافة بعض الأمثلة التى يبدو فيها التكلف والتصنع ، لغرض استيفاء الأقسام ، وتوضيح القواعد ، على ما تقتضيه تلك الطريقة التقريرية .

لقد قرأ عبد القاهر معارف سابقيه . وأكب على قراءة التراث

اللغوى والنحوي والبلاغى فاستوعب محتواه، وهضم أفكاره، ثم أخرجها للدارسين فى ثوب جديد، فاتسم البحث بلاغى عنده بالخصوبة والعمق ودقة النظر وسعة الأفق، حيث كان يحتكم إلى الذوق ويعمل عقله فى استشفاف مرامى النص واستكناه أسراره وسبر أغواره. وهنا يتضح الفرق بين التقليد والابتكار، والاتباع والابتداع، فالشواهد واحده. والمادة لم تتغير، ومع ذلك لبست على يديه ثوباً جديداً لم نألفه عند أحد من السابقين[١].

ومازال مصطلح «البديع» عند عبد القاهر بمعناه الواسع المرادف للبلاغة عرفناه عند المتقدمين كالأصمعى والجاحظ وابن المعتز وقدامة وأبى هلال وابن رشيق وابن سنان الخفاجى. والدليل على ذلك قول عبد القاهر فى «مقدمة أسرار البلاغة»: «وأما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع فلاشبهة أن الحسن والقبح لا يعترض الكلام بهما إلا من جهة المعانى خاصة، من غير أن يكون للألفاظ فى ذلك نصيب»[٢] فهو يجعل الاستعارة من البديع، و«الاستعارة ضرب من التشبيه، ونمط من التمثيل، والتشبيه. قياس، والقياس يجرى فيما تعيه القلوب وتدركه العقول». ومعنى ذلك أن الحسن والقبح فيها يرجعان إلى المعانى، وهو يرد بذلك على أنصار اللفظ فى زمانه.

وهذه هى أنواع البديع التى عرض لها عبد القاهر فى الأسرار:

١ — التجنيس:

يقول عبد القاهر: «أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميدا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا، ولذلك فقد استقبح النقاد قول أبى تمام:

---

(١) مصطلحات بيانية / ١٥٧ . (٢) أسرار البلاغة / ١٤ ط المنار.

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت
فيه الظنون أمذهب أم مذهب

لأنه لم يزدك بمذهب ومذهب . على أن أسمعك حروفاً مكررة ، تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكرة . واستحسنوا قول أبي الفتح البستي :

ناظراه فيما جنى ناظراه   أو دعاني أمت بما أو دعاني

« حيث أعاد عليك اللفظة كأنك يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ، ويوهمك أنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها ، فبهذه السريرة صار التجنيس من حلى الشعر ومذكوراً في أقسام البديع[1] . فهذا تعليل للحسن المترتب على التجنيس وهو يدل على وعى دقيق بأسرار هذه الأساليب ، وعلو كعبها فى ميزان البلاغة .

ويستدل على عودة الحسن في التجنيس إلى المعنى بأنه لوكان باللفظ وحده لما كان فيه إلا مستحسن ، ولما وجد فيه معيب مستهجن .

ولذلك ذم الاستكثار منه والولوع به ، وذلك أن المعانى لا تدين فى كل موضع لما يجذبها التجنيس إليه ، إذ الألفاظ خدم المعانى ، والمصرفة فى حكمها ، وكانت المعانى هى المالكة سياستها المستحقة طاعتها ، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشىء عن جهته وأحاله عن طبيعته ، وذلك مظنة من الاستكراه ، وفيه فتح أبواب العيب والتعرض للشين[2] .

ثم يمضى عبد القاهر فيتعرض لبعض أنواع التجنيس ، وهو يوضح سر بلاغته فيقول : « إن النكتة التى ذكرتها فى التجنيس ، وجعلتها

---

(١) أسرار البلاغة / ٤ :   (٢) المصدر السابق / ٥ .

العلة فى استيجابه الفضيلة وهى حسن الإفادة مع أن الصورة صورة التكرير والإعادة ، وإن كانت لا تظهر الظهور التام الذى لا يمكن دفعه إلا فى المستوفى المتفق الصورة منه كقوله :

ما مات من كرم الزمان فإنه
يحيا لدى يحيى بن عبد الله

أو المرفو الجارى هذا المجرى كقوله : « أو دعانى أمت بما أو دعانى ، فقد يتصور فى غير ذلك من أقسامه أيضاً نحو قول أبى تمام :

يمدون من أيد عواص عواصم
تصول بأسياف قواض قواضب

وقول البحترى :

لئن صدفت عنا فربت أنفس
صواد إلى تلك الوجوه الصوادف

وذلك أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كالميم من « عواصم » والباء من « قواضب » أنها هى التى مضت . وقد أرادت أن تعود إليك مؤكدة . حتى إذا وعى سمعك آخرها انصرفت عن ظنك الأول ، وفى ذلك طلوع الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها ، وحصول الربح بعد أن تغالط فيه حتى ترى أنه رأس المال »[1] .

فقد أشار فى سياق حديثه عن بلاغة التجنيس إلى نوعين : المستوفى والمرفو الجارى هذا المجرى . كما ألمح إلى نوع ثالث هو الجناس المطرف الناقص فى بيتى أبى تمام والبحترى الواردين فى كلامه .

---

(١) أسرار البلاغة / ١٢ .

٢ — السجع :

النوع الثانى الذى عرض له عبد القاهر هو « السجع » وذلك فى إطار غرضه العام وهو الرد على أنصار اللفظ ، فالسجع المستحسن عنده هو الذى يتبع اللفظ فيه المعنى . يقول عبد القاهر : « وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولا ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وحتى تجده لا تبتغى به بدلا ، ولا تجد عنه حولا ، ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه وأحقه بالحسن وأولاه : ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه ، وتأهب لطلبه ، أو ماهو لحسن ملاءمته — وإن كان مطلوباً — بهذه المنزلة ، وفى هذه الصورة »[1] .

ومثال السجع المقبول عند عبد القاهر قول القائل : « اللهم هب لى حمداً وهب لى مجداً ، فلا مجد إلا بفعال ولا فعال إلا بمال » ، وقوله صلوات الله عليه : « لا تزال أمتى بخير ما لم تر الفىء مغنما والصدقة مغرما » .

فالسجع المقبول هو الذى يستدعيه المعنى .

ولذلك ترك المتقدمون فضل العناية بالسجع ، ولزموا سجية الطبع ، فكان كلامهم أمكن فى العقول ، وأبعد من القلق ، وأوضح للمراد وأسلم من التفاوت وأكشف عن الأغراض ، وأنصر للجهة التى تنحو نحو العقل ، وأبعد من التعمد الذى هو ضرب من الخداع بالتزويق . . .

ولذلك فإن العارفين بجواهر الكلام لا يعرجون على هذا الفن إلا بعد الثقة بسلامة المعنى وصحته ، وإلا حيث يأمنون جناية منه عليه ، وانتقاصاً له وتعويقاً دونه »[2] .

---

(١) المصدر السابق / ٧ .   (٢) أسرار البلاغة / ٥ ، ٦ .

فالجناس والسجع « أظهر بابين يبدو للناظر إليهما أن سر الجمال فيهما يعود إلى اللفظ وحده »[1] .

ولذلك اهتم بهما عبد القاهر ، وبين سر الجمال فيهما إذا كانا تابعين للمعنى بعيدين عن التكلف والاستكراه والوقوع فى الذم .

٣ — الحشو « يقصد الاعتراض » :

ذكر عبد القاهر أن الحشو قد يكون مرفوضاً ، وقد يحظى بالرضا والقبول ، وذلك بحسب موقعه فى الكلام والأثر الذى يترتب عليه يقول : « وأما الحشو فإنما كره وذم ، وأنكر ورد ، لأنه خلا من الفائدة ، ولم يحل منه بعائدة . ولو أفاد لم يكن حشواً ، ولم يدع لغواً ، وقد تراه مع إطلاق هذا الاسم عليه واقعاً من القبول أحسن موقع ، لإفادته إياك مع مجيئه مجىء ما لا يعول فى الإفادة عليه ، ولا طائل للسامع لديه ، فيكون مثله كالحسنة تأتيك من حيث لم ترقبها ، والنافلة أتتك ولم تحتسبها ، وربما رزق الطفيلى ظرفاً يحظى به حتى يحل محل الأضياف الذين وقع الاحتشاد لهم ، والأحباب الذين وثق بالأنس منهم وبهم »[2] .

وقد تحدث ابن رشيق عن « الحشو » وأنه قد يأتى لفائدة فيكون حسناً معدوداً فى ألوان البديع ، ولكن الأمثلة التى ذكرها له تنطبق على التتميم والالتفات والاستثناء وقد سبق الحديث عن ذلك .

أما الحشو الذى يعنيه عبد القاهر فهو « الاعتراض » وإن كان لم يمثل له بمثال ، بل أشار إليه على جناح السرعة ؛ لأنه كان مشغولا بالرد

---

(١) عبد القاهر الجرجانى وجهوده فى البلاغة العربية / ٢٥٣ .
(٢) أسرار البلاغة / ١٣ .

على أنصار اللفظ ، فمنهجه يحتم عليه ذلك . ثم إنه كان شغوفاً بالابتكار عزوفاً عن التقليد وترديد كلام غيره دون هدف يسعى إليه ، بل كان يحاول أن يتوسع فى بسط ما يحتاج إلى بسط من أصول البلاغة بما يخدم نظرية النظم التى يسعى لإقرارها والتى هى عمود البلاغة عنده ، وفى نفس الوقت فإنه يكتفى بالإشارة إلى ما استوفاه القدماء .

٤ — التطبيـــق :

وهو الطباق أو المطابقة ، وهو عند عبد القاهر من البديع الذى يرجع الحسن فيه إلى المعنى ، وهو ذكر الشيء وضده .

يقول عبد القاهر : « وأما التطبيق فأمره أبين وكونه معنوياً أجلى وأظهر ، فهو مقابلة الشيء بضده ، والتضاد بين الألفاظ المركبة محال وليس لإحكام المقابلة ثم مجال »[١] .

وعبد القاهر لا يريد بذلك أن هذه الألوان لا تعود على اللفظ بالتحسين كما تعود على المعنى .

فقد أصبح من المسلم به أنها تكسو الألفاظ حسناً ونضارة ، وتخلع على الكلام رونقاً وبهاء « وإنما يريد أن يعنى الشعراء والكتاب بالتوفر على المعانى كما عنوا بالألفاظ فى هذه الأصباغ »[٢] .

وإذا كان عبد القاهر يعلى من شأن هذه الألوان البديعية إذا سلمت من التكليف والاستكراه فإنه ينظر إليها فى إطار النظم والتأليف ، ليصل إلى غرضه وهو إثبات الجمال للنظم دون اللفظ وحده أو المعنى وحده ، فاللفظ والمعنى يتعاونان فى الوفاء بالغرض الذى يقصده الشاعر

---

(١) أسرار البلاغة / ١٤ .　　(٢) الصبغ البديعى / ٢٢٤ .

أو الأديب ، وهما يدوران فى فلك النظم الذى هو البناء المتكامل وهو المعيار الأساسى للتفاضل بين كلام وكلام ، وهذا دليــل على الترابط الفكرى فى منهج عبد القاهر .

فقد بدأ عبدالقاهر بعد المقدمة التى استهل بها «الأسرار» فى بيان غرضه العام من وضع كتابه حيث قال : « واعلم أن غرضى فى هذا الكلام الذى ابتدأته والأساس الذى وضعته أن أتوصل إلى بيان أمر المعانى كيف تتفق وتختلف ، ومن أين تجتمع وتفترق ... وأبين أخوالها فى كرم منصبها من العقل ... وهذا غرض لاينال على وجهه ، وطلبة لاتدرك كما ينبغى إلا بعد مقدمات تقدم ، وأصول تمهــد .. وأول ذلك وأولاه القول على التشبيه والتمثيل والاستعارة ، فإن هذه أصول كثيرة كأن جــل محاسن الكلام متفرعة عنها وراجعة إليها ، وكأنها أقطاب تدور عليها المعانى فى متصرفاتها ، وأقطار تحيط بها من جهاتها »[1] .

ثم يرسم لنفسه خطة البحث فى هذه الأصول مقرراً : أن الذى يوجبه ظاهر الأمر أن يبدأ بجملة من القول فى الحقيقة والمجاز ، ويتبع ذلك القول فى التشبيه والتمثيل . ثم ينسق ذكر الاستعارة عليهما ، وذلك أن المجاز أعم من الاستعارة والواجب فى قضايا المراتب أن يبدأ بالعام قبل الخاص ، والتشبيه كالأصل فى الاستعارة ، وهى شبيهة بالفرع له ، إلا أن ههنا أموراً اقتضت أن تقع البداية بالاستعارة ، وبيان صــدر منها ، والتنبيه على طريق الانقسام فيها ، حتى إذا عرف بعض ما يكشف عن حالها ، عطف عنان الشرح إلى الفصلين الآخرين فوفى حقوقهما ، وبين فروقهما ثم ينصرف إلى استقصاء القول فى الاستعارة .

---

(١) أسرار البلاغة ١٧ ، ١٨

٥ — الاستعارة :

عرفها بقوله : « أن يكون لفظ الأصل فى الوضع اللغوى معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر فى غير ذلك الأصل ، وينقل إليه نقلا غير لازم ؛ فيكون هناك كالعارية »[١] .

ثم قسمها قسمين : مفيدة وغير مفيدة ، وبدأ الحديث عن غير المفيد فهو قصير الباع قليل الاتساع ، وذلك حيث يكون اختصاص الاسم بما وضع له من طريق أريد به التوسع فى أوضاع اللغة ... كوضعهم للعضو الواحد أسامى كثيرة بحسب اختلاف أجناس الحيوان ، نحو وضع الشفة للإنسان والمشفر للبعير ، والجحفلة للفرس كقول الشاعر :

فبتنا جلوساً لدى مهرنا   ننزع من شفتيه الصفارا

فاستعمل الشفة فى الفرس ، وهى موضوعة للإنسان ، بلا فائدة تعود على المعنى[٢] .

وقد تأتى هذه الاستعارة لغرض بلاغى كالمبالغة فى الهجاء والتهكم فتكون مفيدة ، فمن ذلك قولهم : « إنه لغليظ الجحافل وغليظ المشافر » فى مواضع الذم والهجاء ، فكأنه قيـــل : كأن شفته فى الغلظ مشفر البعير وجحفلة الفرس ، وعلى ذلك قول الفرزدق :

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتى   ولكن زنجيا غليظ المشافر

فهو بمنزلة أن يقال : ولكن زنجياً كأنه جمل لا يعرفنى ، ولا يهتدى لشرفى .

وأما الاستعارة المفيدة : فهى التى تقوم على التشبيه ، وهى أمد ميداناً

---

(١) أسرار البلاغة ٢٠   (٢) المصدر السابق ٢١

وأشد افتناناً ، وأكثر جرياناً ، وأعجب حسناً وإحساناً .... ومن خصائصها أنها تعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر ، وتجنى من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر ... فإنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً ، والأعجم فصيحاً والأجسام الخرس مبينة ، والمعانى الخفية بادية جلية »[١] .

وقد انتهى عبد القاهر فى بيان العلاقة بين المجاز والاستعارة إلى أن المجاز أعم من الاستعارة ، وأن كل استعارة مجاز ، وليس كل مجاز استعارة[٢] وأن هذا التعميم فى إطلاق الاستعارة على ما طريق نقله التشبيه ، وما ليس كذلك لا يكون عند ذكر القوانين وحيث تقرر الأصول ، فكلام العارفين بالبديع يجرى على أن الاستعارة نقل الاسم عن أصله إلى غيره للتشبيه على المبالغة ، واستشهد عبدالقاهر بقول صاحب الوساطة : وملاك الاستعارة تقريب الشبه ، ومناسبة المستعار له للمستعار منه ، وقول الآمدى : « قد يأتى فى الشعر ثلاثة أنواع يكتسى المعنى العام بها بهاء وحسناً حتى يخرج بعد عمومه إلى أن يصير مخصوصاً ، وهذه الأنواع هى التى وقع عليها اسم البديع ، وهى الاستعارة والطباق والتجنيس» فهذا نص فى موضع القوانين على أن الاستعارة من أقسام البديع ، ولن يكون النقل بديعاً حتى يكون من أجل التشبيه على المبالغة[٣] .

وهكذا تراهم يعدونها فى أقسام البديع حيث يذكر التجنيس والتطبيق والتوشيح ورد العجز على الصدر ، وغير ذلك ، وقد سلفت الإشارة إلى ذلك فى الحديث عن ابن المعتز وقدامة وأبى هلال وابن رشيق وابن سنان الخفاجى ، فالاستعارة التى تقوم على المبالغة فى التشبيه هى من «حلى الشعر» ومعدودة فى ألوان البديع عند عبد القاهر أيضاً .

---

(١) المصدر السابق ٢٩ ، ٣٠
(٢) أسرار البلاغه ٣١٩ (٣) المصدر السابق ٣٢٣

وبعد أن حدد عبد القاهر نوع العلاقة فى الاستعارة ، وهى المشابهة بين المستعار له والمستعار منه لم يترك الأمر على إطلاقه ، بل اشترط أن يكون وجه الشبه (الجامع) أوضح فى المستعار منه « وليس كل تشبيه يصلح أن يكون موضعاً للاستعارة عنده ، وإنما يجوز ذلك إذا كان الشبه بين الشيئين مما يقرب مأخذه ويسهل متناوله ، ويكون فى الحال دليل عليه وفى العرف شاهد له ، حتى يمكن المخاطب إذا أطلقت له الاسم أن يعرف الغرض ، ويعلم ما أردت »[١] ، وأما إذا كان الشبه غامضاً فلا تتأتى فيه الاستعارة إذ لا يمكن الوصول إليه بسهولة ، فتصبح الاستعارة إلغازاً وتعمية .

أى أنه يجب أن يكون وجه الشبه أخص أوصاف المشبه به ، قد تعورف كونه أصلا ، وجرى العرف على أن يشبه به من أجله كالنور فى الشمس والطيب فى المسك والشجاعة فى الأسد ، والمضاء فى السيف ، فالاستعارة فى مثل هذه الأوصاف « تجىء سهلة منقادة ، وتقع مألوفة معتادة »[٢] ، فالاسم المستعار يدل على مشاركة المشبه للمشبه به فى صفة هى أخص الصفات التى من أجلها وضع الاسم الأول ، كالشجاعة فى الليث ، والحسن فى البدر ، وسرعة المرور فى السهم ونحو ذلك .

تقسيمات أخرى للاستعارة :

مما ينسب إلى عبدالقاهر ، ويذكر له بالفضل أنه ذكر تقسيمات للاستعارة لم يذكرها أحد قبله ، على هذا النحو من وضع الحدود واستنباط القواعد ، والدقة فى تحليل الشواهد ، وتفصيل الكلام فى أقسام النوع الواحد ، والتفريق بين أسلوب ، وأسلوب وبين نوع ونوع بطريقة لم نألفها عند أحد من المتقدمين .

---

(١) المصدر السابق ١٩٦ (٢) أسرار البلاغة ٢٠١

وقد بدأ بتقسيم الاستعارة إلى تصريحية ومكنية ، وإن لم ينص على هذه التسمية حيث يقول : « اعلم أن كل لفظة دخلتها الاستعارة المفيدة لا تخلو من أن تكون اسما أو فعلا ، فإذا كانت اسماً فإنه يقع مستعاراً على قسمين :

أحدهما : أن تنقله عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت معلوم فتجريه عليه وتجعله متناولا له تناول الصفة للموصوف كقولك : «رأيت أسداً » وأنت تعني رجلا شجاعا ، و«عنت لنا ظبية » وأنت تعني امرأة ... فالاسم في هذا كله يتناول شيئاً معلوماً يمكن أن ينص عليه فيقال إنه عني بالاسم ، ونقل عن مسماه الأصلي فجعل إسماً له على سبيل الإستعارة والمبالغة في التشبيه[1] .

والثاني : أن يؤخذ الإسم على حقيقته ، ويوضع موضعا لا يبين فيه شيء يشار إليه فيقال هذا هو المراد بالاسم ، والذي استعير له ، وجعل خليفة لاسمه الأصلي ونائبا منابه ومثاله قول لبيد :

وغداة ريح قد كشفت وقرة
إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

وذلك أنه جعل للشمال يداً ، ومعلوم أنه ليس هناك مشار إليه يمكن أن تجرى اليد عليه ، كإجراء الأسد والسيف على الرجل في قولك : « انبرى لي أسد يزأر » و « سللت سيفا على العدو لا يفل » ، والظباء على النساء في قوله : « من الظباء الغيد » . . . لأن معك في هذا كله ذاتاً ينص عليها ، وترى مكانها في النفس إذا لم تجد ذكرها في اللفظ .

وليس لك شيء من ذلك في بيت لبيد ، بل ليس أكثر من أن تخيل إلى

---

(١) المصدر السابق /٣١

نفسك أن الشمال فى تصريف الغداة على حكم طبيعتها كالمدبر لما زمامه بيده، ومقادته فى كفه، وذلك لا يتعدى التخيل والوهم والتقدير فى النفس من غير أن يكون هناك شيء يحس وذات تتحصل ...»(١).

فالنوع الأول هو الاستعارة التصريحية فى عرف المتأخرين، والثانى هو المكنية، وكلتاهما أصلية.

ثم ينتقل إلى استعارة الفعل فيقول: إذا استعير الفعل لما ليس له فى الأصل فإنه يثبت باستعارته له وصفاً هو شبيه بالمعنى الذى ذلك الفعل مشتق منه. بيان ذلك أن تقول: نطقت الحال بكذا ... فتجد فى الحال وصفاً هو شبيه بالنطق من الإنسان. وذلك أن الحال تدل على الأمر، ويكون فيها أمارات يعرف بها الشيء، كما أن النطق كذلك»(٢).

وهو يرى أن استعارة الفعل تابعة لاستعارة مصدره الذى اشتق منه، فاستعارة الفعل «نطق» تابعة لاستعارة المصدر «النطق» فاستعير النطق للدلالة، واشتق منه نطق بمعنى دل على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية كما يقول المتأخرون فى إجراء هذا النوع من الاستعارات، وكلامهم مأخوذ من كلام الشيخ مع بعض التنظيم والتبويب والإيجاز.

وهكذا أخذ الحديث عن المجاز والاستعارة بعداً جديداً على يد الإمام عبد القاهر فقد قسم المجاز قسمين: مجاز لغوى ومجاز عقلى، ثم قسم المجاز اللغوى بحسب العلاقة قسمين: مجاز علاقته المشابهة وهو الاستعارة ومجاز علاقته غير المشابهة وهو كل لفظ استعمل مكان لفظ آخر لصلة وملابسة بينهما، وهو الذى سماه السكاكى فيما بعد بالمجاز المرسل.

وقد تحدث عبد القاهر عن كل نوع على حدة، وتميز حديثه بوضوح

---

(١) أسرار البلاغة / ٣٢ (٢) المصدر السابق / ٣٥

الرؤية ، واستقامة المنهج وترابط الأفكار البلاغية فى جميع الأبواب ، والنظر إليها فى إطار النظم الذى اتخذه مقياساً يتفاضل به الكلام ، ويرقى بعضه على بعض فى البلاغة . وهذا من تجديد عبد القاهر وابتكاره ، فقد وصل البحث البلاغى على يديه إلى آفاق بعيدة حين ميز بين هذه الأنواع ، وفرق بين التشبيه والتمثيل والاستعارة بطريقة فذة فتحت الباب على مصراعيه أمام اللاحقين لارتياد هذه الآفاق والنهل منها .

٦ — حسن التعليل :

عالجه عبد القاهر فى حديثه عن التخييل ، فالمعانى عنده قسمان : عقلى وتخييلى وذلك النوع التخييلى يشمل أنواعاً منها حسن التعليل عند المتأخرين ، والذى سماه ابن سنان « الاستدلال بالتعليل » . وهو كثير المسالك لا يكاد يحصر إلا تقريبا .

يقول عبد القاهر : « وجملة الحديث أن الذى أريده بالتخييل ههنا : ما يثبت فيه الشاعر أمراً هو غير ثابت أصلا ، ويدعى دعوى لا طريق إلى تحصيلها ، ويقول قولا يخدع فيه نفسه ويريها ما لا ترى »[1] ثم مضى يذكر له أنواعاً كثيرة منها :

أن يكون للمعنى من المعانى ، والفعل من الأفعال علة مشهورة من طريق العادات والطباع ثم يجىء الشاعر فيمنع أن يكون لتلك المعروفة ، ويضع له علة أخرى مثال ذلك قول المتنبى :

ما به قتل أعاديه ولكن يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب

والذى يتعارفه الناس أن الرجل إذا قتل أعاديه فلإرادته هلاكهم ، وأن يدفع مضارهم عن نفسه ، وليسلم ملكه ، ويصفو من منازعاتهم ، وقد

(١) أسرار البلاغة /٢٢١

ادعى المتنبى أن العلة فى قتل هذا الممدوح لأعدائه غير ذلك[١] لأن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ومحبته أن يصدق رجاء الراجين بعثته على قتل أعدائه ، لما علم أنه لما غدا للحرب غدت الذئاب تتوقع أن يتسع عليها الرزق من قتلاهم وهذا مبالغة فى وصفه بالجود ، ويتضمن المبالغة فى وصفه بالشجاعة على وجه تخييلى .

ومن الغريب فى هذا النوع قول أبى طالب المأمونى فى مدح بعض الوزراء ببخارى :

مغرم بالثناء صب بكسب المجد يهتز للسماح ارتياحاً
لا يذوق الإعفاء إلا رجاء أن يرى طيف مستميح رواحاً

وكأنه شرط الرواح على معنى أن العفاة والراجين إنما يحضرونه فى صدر النهار على عادة السلاطين ، فإذا كان الرواح ونحوه من الأوقات التى ليست من أوقات الإذن قلوا فهو يشتاق إليهم فينام ليأنس برؤية طيفهم[٢] وأصل هذا البيت من نحو قول الآخر :

وإنى لأستغشى وما بى نعسة لعل خيالا منك يلقى خياليا

ثم تحدث عبد القاهر عما يلحق بالتعليل حيث يقول : « ومما يلحق بهذا الفصل قوله :

رحل العزاء برحلتى فكأننى أتبعته الأنفاس للتشييع

وذلك أنه علل تصعد الأنفاس من صدره بهذه العلة الغريبة ، وترك المعلوم المشهور من السبب والعلة فيه : وهو التحسر والتأسف ، والمعنى : رحل عنى العزاء بارتحالى عنكم أى عنده ومعه ، أو به وبسببه ، فكأنه لما كان محل الصبر الصدر ، وكانت الأنفاس تصعد منه أيضا ، صار العزاء

---

(١) المصدر السابق / ٢٣٨ (٢) المصدر السابق / ٢٣٩ ، ٢٤٠

وتنفس الصعداء كأنها نزيلان ورفيقان ، فلما رحل ذاك كان حق هذا أن يشيعه قضاء لحق الصحبة[١] .

وقد توسع عبد القاهر فى الحديث عن التخييل وما يندرج تحته من حسن التعليل والمبالغة والترشيح ، وحلل شواهده تحليلا دقيقا ينم عن فكر ثاقب وبصيرة واعية وخيال خصب وذوق مستنير ، وقد اعتمد المتأخرون على ما كتبه هنا فى بيان « حسن التعليل» ورددوا نفس الشواهد الشعرية تقريبا .

٧ — التجريد :

تحدث عبد القاهر عن « التجريد » وإن لم يذكره باسمه الاصطلاحى ، وذلك فى حديثه عن الفرق بين التشبيه البليغ والاستعارة فى « أسرار البلاغة » .

يقول عبد القاهر : فإن قلت : فما تقول فى نحو قولهم « لقيت به أسداً ، ورأيت به ليثا ؟ فإنه مما لا وجه لتسميته استعارة . ألا تراهم قالوا : « لئن لقيت فلاناً ليلقينك منه الأسد » ، فأتوا به معرفة على حده إذا قالوا : احذر الأسد ، وقد جاء على هذه الطريقة ما لا يتصور فيه التشبيه ، فيظن أنه استعارة ، وهو قوله عز وجل : « لهم فيها دار الخلد » والمعنى — والله أعلم — أن النار هى دار الخلد ، وأنت تعلم أن لا معنى ههنا لأن يقال : « إن النار شبهت بدار الخلد » إذ ليس المعنى على تشبيه النار بشىء يسمى دار الخلد ، كما تقول فى زيد : إنه مثل الأسد . ثم تقول هو الأسد . وإنما هو كقولك : النار منزلهم ومسكنهم . نعوذ بالله منها[٢] . وكذا قوله :

يأبى الظلامة منه النوفل الزفر

---

(١) أسرار البلاغة / ٢٤١ (٢) المصدر السابق /٢٦٩

المعنى على أنه النوفل الزفر . وليس النوفل الزفر باسم لجنس غير جنس الممدوح كالأسد ، فيقال : إنه شبه الممدوح به ، وإنما هو كقولك : هو الشجاع . وهو السيد وهو النهاض بأعباء السيادة . وكذا قول الأعشى :

يا خير من يركب المطى ولا يشرب كأساً بكف من بخلا

لا يتصور فيه التشبيه ، وإنما المعنى أنه ليس ببخيل .

هذا وإنما يتصور الحكم على الإسم بالاستعارة إذا جرى بوجه على ما يدعى أنه مستعار له . والاسم فى قولك : لقيت به أسداً . ولقينى منه الأسد لا يتصور جريه على المذكور بوجه ؛ لأنه ليس بخبر عنه ولا صفة له ولا حال . وإنما هو بنفسه مفعول « لقيت » ، وفاعل لقينى » .

ثم قال : « فأما القضية الصحيحة وما يقع فى نفس العارف ، ويوحيه نقد الصيرف فإن الأسد واقع على حقيقته »[١] .

وكلام عبد القاهر يفيد أن التجريد على ضربين ؛ ضرب يلحق بالتشبيه ، وهو ما كان القصد منه تشبيه شيء بشيء مثل « لقيت بفلان أسداً » ، وهو تشبيه لا استعارة .

وضرب آخر : وهو ما كان من قبيل تجريد الشيء من نفسه ، وذلك كما فى الآية الكريمة ، فإنها لتجريد دار الخلد من جهنم ، وهى دار الخلد ، ولا يشبه الشيء بنفسه ، فهذا النوع لا يكون تشبيها ، ولا استعارة أيضاً ، لأن الاستعارة مبنية على التشبيه ، وهو غير موجود .

وعبد القاهر مسبوق إلى « التجريد » بإشارات المبرد إليه فى بيت

---

(١) أسرار البلاغة / ٢٧٠ ، ٢٧١

الأعشى السابق حيث يقول : « يقول : إنك تشرب بكفك ، ولست بخيل » [١] . وفى قول أعشى باهلة يقول .

يأبى الظلامة منـــه النوفل الزفر

ثم جاء ابن جنى ت ٣٩٢ هـ فعقد للتجريد باباً خاصاً به . وهو أول من أطلق عليه هذا الاسم . حين قال : « وهذا يتصل بباب من العربية غريب لطيف وهو باب التجريد » [٢] ويقول فى الخصائص :

« اعلم أن هذا فصل من فصول العربية طريف حسن ، ورأيت أبا على — رحمه الله — به غريا معنياً ... ومعناه أن العرب تعتقد أن فى الشىء من نفسه معنى آخر كأنه حقيقته ومحصوله وقد يجرى ذلك إلى ألفاظها لما عقدت عليه معانيها . وذلك نحو قولهم : لئن لقيت زيداً لتلقين منه الأسد . ولئن سألته لتسألن منه البحر . فظاهر هذا أن فيه من نفسه أسداً وبحراً ، وهو عينه هو الأســد والبحر ، لا أن هناك شيئاً منفصلا عنه ومتازاً منه . وعلى هذا يخاطب الإنسان منهم نفسه ، حتى كأنها تقابله أو تخاطبه . ومنه قول الأعشى :

وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

وهو الرجل نفسه لا غيره . وقال تعالى : « لهم فيها دار الخلد » وهى نفسها دار الخلد » [٤] .

فالتجريد معروف باسمه عند ابن جنى . والشواهد التى أوردها هى هى المتداولة فى كتب البلاغة عند المتأخرين ، مع زيادة فى التحليل مستمدة مما كتبه عبد القاهر .

---

(١) الكامل للمبرد ١/٧٧ (٢) المصدر السابق ١/٨٠

(٣) المحتسب ١ / ١٠٦ . ومصطلح التجريد /٤٠

(٤) الخصائص ٢ / ٤٧٥ ، ٤٧٦ .

بقي أن أشير إلى ما ذكره عبد القاهر في «دلائل الإعجاز» من ألوان البديع.

٨ — المزاوجة :

عقد الشيخ فصلا في النظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع (١) وسرد فيه أمثلة لبعض فنون البديع كالمزاوجة والتقسيم والجمع مع التقسيم .

وقد ارتفع شأنها عنده حتى جعلها النمط العالي من أنماط التعبير ، فهي إلى جوار التشبيه والاستعارة وغيرهما تتبوأ في علم «البلاغة» منزلة سامية ، وتعود على الكلام بالحسن الذاتي . يقول عبد القاهر : «اعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت: أن تتحد أجزاء الكلام ، ويدخل بعضها في بعض ، ويشتد ارتباط ثان منها بأول ، وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً ، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك . نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين ، وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره وقانون يحيط به ، فإنه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة فمن ذلك :

المزاوجة : وهي أن تزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء معاً كقول البحتري يمدح الفتح بن خاقان :

إذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى
أصاخت إلى الواشي فلج بها الهجر

وقوله :

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها
تذكرت القربى ففاضت دموعها (٢)

(١) دلائل الإعجاز / ٩٣ (٢) المصدر السابق / ٩٣

فقد رتب اللجاج على نهى الناهى وهو الشرط . وعلى الإصاخة إلى الواشى وهى الجزاء . كما رتب الفيض على الاحتراب وهو الشرط . وعلى تذكر القربى وهو الجزاء فى البيت الثانى .

٩ — التقسيم :

يقول عبد القاهر : « ومنه التقسيم . وخصوصا إذا قسمت ثم جمعت كقول حسان :

قوم إذا حاربوا ضروا عـــدوهم
أوحاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غـــير محدثة
إن الخلائق فاعلم شرها البـــدع[1]

فقد قسم فى البيت الأول حين جعل الضرر للأعداء ، والنفع للأشياع ثم جمع فى البيت الثانى جمعا لطيفا ، فجعل ذلك سجية وطبعا متأصلا فيهم ليس بدعا مستحدثا .

فهذا النمط من الكلام . وهو ما تتحد أجزاؤه حتى يوضع وضعاً واحداً النمط العالى والباب الأعظم . والذى لاترى سلطان المزية يعظم فى شىء كعظمه فيه[2] .

ثم جعل من هذا الباب بعض أمثلة التشبيه كبيت امرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى

وبيت الفرزدق :

والشيب ينهض فى الشباب كأنه ليل يصيح بجانبيه نهار

---

(١) دلائل الإعجاز / ٩٤ . (٢) المصدر السابق / ٩٥ .

وقد جاء حديث الشيخ عن المزاوجة والتقسيم والجمع فى إطار النظم الذى يتحد فى الوضع ويدق فيه الصنع ، والذى هو « النمط العالى والباب الأعظم » . ومعنى ذلك أن عبد القاهر قد رفع هذه الألوان البديعية إلى منزلة رفيعة مادامت بعيدة عن التكلف تابعة للمعنى . فهى لا تقل شأنا عن التشبيه ، ولذلك قرن التشبيه بها فى هذا الفصل ، فهى كسائر ألوان البلاغة الأخرى تابعة للنظم الذى هو معيار التفاضل ، وإليه تعود بلاغة الكلام .

وهكذا ظل البديع عند عبد القاهر بمعناه المرادف للبلاغة كما كان عند السابقين ، وقد كان حديث الشيخ عنه دقيقا ، وتحليله لأساليبه تحليلا واعياً يبرز قيمته ، بلا تفرقة بين بديع لفظى وآخر معنوى . على الرغم من أن ابن سنان قد أشار إلى هذا التقسيم حين جعل المناسبة بين الألفاظ على نوعين :

١ — مناسبة من طريق الصيغة .

٢ — مناسبة من طريق المعنى . فكانت هذه الإشارة إرهاصا بتقسيم البديع بعد ذلك إلى قسمين . وهو ما رأيناه عند المتأخرين . ولكن عبد القاهر نظر إلى جميع فنون البلاغة فى إطار النظم . وألوان البديع داخلة فى هذا الإطار بشرط أن تكون فطرية عفوية لا تكلف فيها ولا تعمد ولا استكراه . فلله در الشيخ وإنصافه للأساليب وعدالته فى أحكامه !

• • •

الفصل الرابع

« البديع عند المتأخرين »

البديع عند السكاكى ت ٦٢٦ﻫ :

فى أوائل القرن السابع الهجرى وضع السكاكى كتاب «مفتاح العلوم» وهو يتكون من ثلاثة أقسام . القسم الأول فى علم الصرف . والقسم الثانى فى علم النحو . والقسم الثالث فى علمى المعانى والبيان وما يتبعهما من وجوه تحسين الكلام ، وهى التى سميت بالبديع أخيرا .

وكانت هذه بداية تقسيم علم البلاغة إلى المعانى والبيان والمحسنات (البديع) . صحيح أن الزمخشرى فى مقدمة الكشاف قد أشار إلى « علمى المعانى والبيان» فى مقام التنويه بأهمية البلاغة للمفسرين. فاللغوى والنحوى والفقيه والمتكلم والواعظ وحافظ القصص مهما بلغ شأنهم فى هذه العلوم لا يتصدى أحد منهم لسلوك تلك الطرائق (تفسير القرآن) إلا رجل قد برع فى علمين مختصين بالقرآن وهما : « علم المعانى وعلم البيان » وهى أول إشارة إلى هذين العلمين .

ثم طبق السكاكى هذا التقسيم لعلم البلاغة فى « المفتاح » فصارت البلاغة على يديه علوماً ثلاثة ، واستمرأ المتأخرون طريقته ، فجاء بدر الدين بن مالك فى « المصباح » ، وأطلق على هذه الأقسام : « المعانى والبيان والبديع » ، وكذلك الحال عند الخطيب القزوينى .

والسكاكى هو رائد مدرسة فى البحث البلاغى تنسب إليه فيقال : « مدرسة السكاكى » ، وهم الذين اتبعوا طريقته فى التأليف البلاغى ، وهى

الطريقة التقريرية التى تهتم بالتعريف وإخراج المحترزات ، وضبط الأقسام وحصرها مع الاقتصار على شاهد أو مثال مصنوع أحيانا لتوضيح القاعدة ، فهى تميل إلى التقنين ووضع القواعد على حساب التحليل وتذوق النصوص الرفيعة ، مع الإسراف فى استعمال مصطلحات منطقية وفلسفية شاعت فى مؤلفات المتأخرين ، ولا أثر لها فى تربية الذوق وتنمية الملكات البيانية .

والذى يعنينى الآن هو ما عرض له السكاكى من وجوه تحسين الكلام التى جعلها تابعة لعلمى المعانى والبيان ، فالبديع عنده لم يرتفع ليدخل ضمن مباحث البلاغة لأن البلاغة عنده تختص بعلمى المعانى والبيان ، ويتضح ذلك من تعريفه للبلاغة حيث يقول : « البلاغة هى بلوغ المتكلم فى تأدية المعانى حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها »[1] . ثم نوع الفصاحة إلى نوعين : « نوع يرجع إلى المعنى وهو خلوص الكلام من التعقيد ، ونوع يرجع إلى اللفظ . وهو أن تكون الكلمة عربية أصلية ، وعلامة ذلك أن تكون على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدور ، واستعمالهم لها أكثر ، وأن تكون أجرى على قوانين اللغة ، وأن تكون سليمة عن التنافر »[2] .

ثم يقول فى التمهيد لبحث وجوه تحسين الكلام (البديع) : « وإذ قد تقرر أن البلاغة بمرجعيها ، وأن الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلة التزيين . ويرقيه أعلى درجات التحسين فها هنا وجوه مخصوصة كثيرا

---

(١) مفتاح العلوم للسكاكى / ٢٢٧ . ط مصطفى البابى الحلبى سنة ١٤١١ هـ .

(٢) مفتاح العلوم /٢٢٧ ، ٢٢٨

ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام . فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها وهى قسمان : قسم يرجع إلى المعنى ، وقسم يرجع إلى اللفظ »[١] .

وهكذا تقهقر البديع عند السكاكى وأتباعه فصار تابعاً للبلاغة بعد أن كان عند المتقدمين مرادفاً للبلاغة ، بل جعله عبد القاهر مما يندرج فى النمط العالى من الأساليب إذا تلاحمت أجزاء النظم ، واشتد الترابط بين أوله وآخره ، وكان مطبوعاً غير متكلف .

وجوه البديع عند السكاكى :

جعل السكاكى وجوه البديع قسمين : قسم يرجع إلى المعنى ، وقسم يرجع إلى اللفظ . وهو مسبوق إلى هذا التقسيم بابن سنان الخفاجى ، بيد أن ابن سنان كان شاعراً وناقداً يتمتع بذوق أدبى رفيع ، فكان أقرب إلى الذوق العربى فى تحليل الشواهد وبيان أسرارها وهو أقرب إلى عبد القاهر فى تناوله لهذه الألوان منه إلى المتأخرين .

وهذه الوجوه التى ذكرها السكاكى موجودة بأسرها عند المتقدمين ، وليس له من جديد فيها سوى تسمية « تجاهل العارف » : « سوق المعلوم مساق غيره » .

ولكنى سأعرض ألوان البديع عند السكاكى لأنه يمثل بداية طريقة مختلفة عن طريقة سابقيه ، وهى طريقة المتكلمين (التقريرية) فى دراسة البلاغة العربية ، وهى التى استقر عليها الدرس البلاغى إلى عصرنا الحاضر . وهى على النحو التالى :

القسم الأول : وهو الذى يرجع الحسن فيه إلى المعنى (المحسنات المعنوية) منه :

---

(١) المصدر السابق / ٢٣١

١ — المطابقة . ٢ — المقابلة .
٣ — المشاكلة . ٤ — مراعاة النظير .
٥ — المزاوجة . ٦ — اللف والنشر .
٧ — الجمع . ٨ — التفريق .
٩ — التقسيم . ١٠ — الجمع مع التفريق .
١١ — الجمع مع التقسيم . ١٢ — الجمع مع التفريق والتقسيم
١٣ — الإيهام (التورية) . ١٤ — تأكيد المدح بما يشبه الذم .
١٥ — التوجيه . ١٦ — سوق المعلوم مساق غيره .
١٧ — الاعتراض . ١٨ — الاستتباع .
١٩ — الالتفات . ٢٠ — تقليل اللفظ ولا تقليله[1] .

هذه هى المحسنات المعنوية عند السكاكى . وقد عرضها عرضاً سريعاً اكتفى فيه بالتعريف وذكر مثال للنوع الذى يتحدث عنه أو مثالين دون تحليل لها وغوص وراء أسرار جمالها .

القسم الثانى : وهو الذى يرجع الحسن فيه إلى اللفظ منه :

١ — التجنيس . ٢ — رد العجز على الصدر .
٣ — القلب . ٤ — الأسجاع والفواصل القرآنية .
٥ — الترصيع [2] .

وهو يحدد معنى كل نوع منها ، ويسوق شواهده وأقسامه إن كانت له أقسام ففى التجنيس يقول : « وهو تشابه الكلمتين فى اللفظ ، والمعتبر منه فى باب الاستحسان عدة أنواع :

---

(١) مفتاح العلوم / ٢٣٣ — ٢٣٤
(٢) المصدر السابق / ٢٣٥

أحدها: التجنيس التام، وهو أن لا يتفاوت المتجانسان فى اللفظ كقولك: رحبة رحبة.

وثانيها: التجنيس الناقص: وهو أن يختلفا فى الهيئة دون الصورة، كقولك: البرد يمنع البرد.

وثالثها: التجنيس المذيل، وهو أن يختلفا بزيادة حرف كقولك: مالى كمالى، وجدى جهدى، وكاس كاسب.

ورابعها: التجنيس المضارع أو المطرف وهـــو أن يختلفا بحرف أو حرفين مع تقارب المخرج مثل: دامس وطامس، وحصب وحسب وكثب وكثم.

وخامسها: التجنيس اللاحق، وهو أن يختلفا مع عدم التقارب كقولك: سعيد بعيد، وكاتب كاذب، وعابد عائب، والمختلفان فى اللاحــــق إذا اتفقا كتبة كقولك: عائب عابث سمى تجنيس تصحيف، والمتجانسان إذا وردا على نحو قولهم: من طلب وجد وجد، أو قولهم: من قرع باباً ولج وج، أو على نحو: المؤمنون هينون لينون، ونحو قوله تعالى: «وجئتك من سبأ بنبأ يقين» سمى مزدوجا ومكرراً ومردداً، وهاهنا نوع آخر يسمى تجنيسا مشوشا، وهو مثل قولك: بلاغة وبراعة، وإذا وقع أحد المتجانسين فى التام مركبا ولم يكن مخالفاً فى الخط كقوله:

إذا مـلك لم يكن ذا هبـه
فـدعه فـدولته ذاهبـه

سمى متشابها، وإن كان مخالفا فى الخط كقوله:

كلكم قـد أخذ الجـام ولا جام لنا
ما الذى ضر مدير الجام لو جاملنا

سمى مفروقا، ومما يلحق بالتجنيس نظير قوله عز وجل: «قال إنى لعملكم من القالين». وكثيرا ما يلحق بالتجنيس الكلمتان الراجعتان إلى أصل واحد فى الاشتقاق[١] كقوله تعالى: «فأقم وجهك للدين القيم» وقوله تعالى: «فروح وريحان».

ثم انتهى من ذلك بقوله: «وأصل الحسن فى جميع ذلك أن تكون الألفاظ توابع للمعانى لا أن تكون المعانى لها توابع، أعنى ألا تكون متكلفة»[٢].

تعقيب:

هذه هى وجوه البديع عند السكاكى، وقد ذكر منها خمسة وعشرين نوعا هى عبارة عن عشرين محسنا معنوياً، وخمسة محسنات لفظية، وعرف كل نوع مع ذكر أمثلة له.

وقد بلغت عند أبى هلال ستة وثلاثين نوعا «وعند ابن رشيق خمسة وثلاثين، وعند ابن أبى الإصبع فى «تحرير التحبير» إلى تسعين نوعا، ولم تقف عند هذا الحد، فقد ظل العلماء يزيدون فيها حتى جاء صفى الدين الحلى ت ٧٥٠ﻫ فجمع مائة وأربعين نوعا من البديع فى قصيدة يمدح بها النبى ﷺ وهكذا اتسع نطاق هذا الفن، واحتلت الصنعة منزلة كبيرة فى بناء الأدب، وطغى الشكل على مظاهر الطبع فى القرن الثامن الهجرى.

أما صاحب المفتاح فقد جعل البديع تابعاً للبلاغة أو للمعانى والبيان فخرج كثير من الأنواع التى كانت معدودة فى البديع عند غيره كالتشبيه والاستعارة والكناية والإيغال والتتميم والإشارة والتمثيل وغير ذلك مما مما دخل بعضه فى علم البيان وبعضه فى علم المعانى حسب اصطلاح السكاكى ومن نسج على منواله من المتأخرين.

---

(١) مفتاح العلوم/٢٣٥ (٢) المصدر السابق/٢٣٦

على أن السكاكى كان يتجاوز أحياناً هذا التقسيم الذى اصطنعه ، فيذكر بعض الأنواع فى البديع .

وقد سبق ذكرها فى علم المعانى كالالتفات والإيجاز والإطناب .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا هذا البون الشاسع بين صنيع عبد القاهر وصنيع السكاكى فى تناول البديع وفنونه ، فقد ارتقى البديع عند عبد القاهر إلى مكانة رفيعة وصار جزءاً من النظم الذى ترجع إليه بلاغة الكلام ، بينما تراجع عند السكاكى وهبط إلى السفح تابعاً للبلاغة .

ويتضح ذلك جلياً حين نوازن بين صنيع عبد القاهر وصنيع السكاكى فى باب « التجنيس » فقد تحدث الأول عن بلاغة التجنيس وهى حسن الإفادة مع أن الصورة صورة التكرير والإعادة وشفع كلامه بشواهد شعرية ونثرية يؤكد بها قوله . بينما اكتفى الثانى بتعريفه وذكر أقسامه والتمثيل لكل قسم منها بمثال أو أكثر دون غوص وراء الأسرار البلاغية .

• • •

البديع عند الخطيب القزوينى ت ٧٣٩ هـ :

أقبل علماء البلاغة على القسم الثالث من المفتاح للسكاكى ، وتوفروا عليه تلخيصاً ونظماً . وفى طليعة هؤلاء الخطيب القزوينى الذى وضع « تلخيص المفتاح » وذكر فى مقدمته : أن القسم الثالث من « مفتاح العلوم » أعظم ما صنف فى البلاغة من الكتب المشهورة نفعاً ، لكونه أحسنها ترتيباً ، وأتمها تحريراً ، وأكثرها للأصول جمعاً ، ولكنه كان غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد ، قابلا للاختصار ومفتقراً إلى الإيضاح والتجويد . فألفت مختصراً يتضمن ما فيه من القواعد ، ويشتمل على ما يحتاج إليه من الأمثلة والشواهد . ولم آل جهداً فى ترتيبه وتهذيبه ، ولم أبالغ فى اختصار لفظه تقريباً لتعاطيه وطلبا لتسهيل فهمه على طالبيه .

وأضفت إلى ذلك فوائد عثرت فى بعض كتب القوم عليها، وزوائد لم أظفر فى كلام أحد بالتصريح بها ولا الإشارة إليها وسميته « تلخيص المفتاح » .

لقد وقف الخطيب وقفة إعجاب أمام صنيع السكاكى ، فاختصره فى هذا « التخليص » الذى جمع فيه مسائل البلاغة ، ورتبها أحسن ترتيب ، وبوبها أدق تبويب . ولكنه من ناحية أخرى جنى على البلاغة بمتابعته لطريقة السكاكى التقريرية التى تقوم على الاهتمام بوضع القواعد وذكر الحدود الجامعة المانعة ، وحصر الأقسام وتكلف الأمثلة لإيضاح القواعد البلاغية مع الاستعانة بكم هائل من مصطلحات المنطق والفلسفة مما جعل البلاغة أخلاطاً باهتة من المنطق والفلسفة وعلم الكلام تلوح خلالها مسائل البلاغة . حيناً وتختفى حيناً آخر ، حتى أصبحت هذه الطريقة سنة متبعة عند البلاغيين ، مما فتح الباب على مصراعيه أمام عصر الشروح والحواشى والتقريرات .

وقد جاء تلخيص المفتاح فى مقدمة وثلاثة فنون وخاتمة ، فالمقدمة فى شرح الفصاحة والبلاغه .

والفن الأول : علم المعانى . والفن الثانى : علم البيان .

والفن الثالث : علم البديع .

والخاتمة فى السرقات الشعرية ومايتصل بها .

ثم نظر الخطيب إلى هذا التلخيص فوجد أنه يحتاج إلى شرح وتوضيح فوضع « الإيضاح » ليكون كالشرح له ، وتوضيح معانيه الغامضة وأضاف إليه ما وجده من كلام عبد القاهر والسكاكى وماتيسر من كلام غيرهما ، فاستخرج زبدة ذلك كله وهذبها ورتبها وزودها بمناقشات يقتضيها المقام حتى جاء كتاب الإيضاح جامعاً لأشتات هذا العلم كما يقول فى مقدمته .

وقد جاء ترتيب « الإيضاح » على ترتيب « التلخيص » فى مقدمة وثلاثة فنون وخاتمة .

ويجيء البديع فى المرتبة الثالثة بعد المعانى والبيان .

وقد عرفه بقوله : « هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة »(١) فهذا التحسين يأتى دووه بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة ، فالبديع عنده أيضاً تابع للبلاغة ، وتحسينه عرضى لاذاتى ، وها هى ذى وجوه البديع عند الخطيب القزوينى كما وردت فى « الايضاح » :

قسم الخطيب ألوان البديع قسمين : قسم يرجع إلى المعنى . وقسم يرجع إلى اللفظ .

وبدأ بالمعنوى فقال : أما المعنوى فنه :

١ — المطابقة : وتسمى الطباق والتضاد أيضاً . وهى الجمع بين المتضادين أى معنيين متقابلين فى الجملة(٢) . وهو عنده نوعان : طباق الإيجاب ، وطباق السلب . ومنه مايسمى تدبيجاً حيث يكون التقابل بين الألوان ، وقد ألحق به « إيهام التضاد » وجعل المقابلة داخلة فى المطابقة . وعرفها بقوله : « أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بمايقابلها على الترتيب » وهى إما مقابلة اثنين باثنين أو ثلاثة بثلاثة أو أ كثر .

٢ — مراعاة النظير :

ويسمى التناسب والائتلاف والتوفيق أيضاً : وهى أن يجمع فى الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد ، وبذلك يخرج الطباق . لأن المناسبة بين المعنيين فيه بالتضاد .

---

(١) الإيضاح ٤ / ٢ .   (٢) المصدر السابق ٤ / ١٤.

٣ — الارصاد أو التسهيم :

وهو التوشيح عند قدامة وأبى هلال . والمطمع عند ابن وكيع كما سبق . والإرصاد عند ابن الأثير والخطيب والعلوى . ولم يذكره السكاكى فى المفتاح .

٤ — المشاكلة :

وأول من أطلق هذا المصطلح أبو على الفارسى[1]، وهى عند الخطيب: « ذكر الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقاً أو تقديراً »[2] ، وقد مثل لها من القرآن الكريم والشعر العربى .

٥ — الاستطراد :

لم يذكره السكاكى ، والمصطلح معروف ، قد نطق به أبو تمام كما سبق ، وذكره أبو هلال وابن رشيق . وقد عرفه الخطيب ، وألحق به « إيهام الاستطراد » ، وهو حسن التخلص .

٦ — المزاوجة :

ذكر تعريف عبد القاهر لها وأورد البيتين اللذين ذكرهما عبد القاهر لهذا النوع فى الدلائل .

٧ — العكس والتبديل :

وهو أن يقدم فى الكلام جزء ثم يؤخر[3] . ولم يذكره السكاكى على الرغم من أنه معروف عند قدامة ، واسمه « التبديل » ، وسماه أبو هلال « العكس » ، وسماه ابن سنان « التبديل » وجعله جارياً مجرى الطباق . وقد عرفه الخطيب ، وفصل القول فى أنواعه .

---

(١) الحجة لأبى على الفارسى ١/٢٣٦ .

(٢) الإيضاح ٤/٢٢ . (٣) الإيضاح ٤/٢٦ ، ٢٧ .

٨ — الرجوع :

وهو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة كإظهار التحير أو التحسر ونحو ذلك .

٩ — التورية أو الإيهام :

وهى أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ، ويراد به البعيد منهما . وهى نوعان : مجردة ومرشحة[١] .

١٠ — الاستخدام :

عرفه الخطيب وذكر له مثالين من الشعر . وهو معروف ذكره ابن منقذ فى « البديع » وابن أبى الأصبع فى « تحرير التحبير »[٢] وإن كان معناه يختلف قليلا عما ذكره الخطيب .

١١ — اللف والنشر :

وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال . ثم ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه وهو نوعان : مرتب . وغير مرتب . وقد مثل لكل واحد من النوعين[٣] .

١٢ — الجمع :

عرفه الخطيب بقوله : « وهو أن يجمع بين شيئين أو أشياء إلى حكم واحد » ومثل له .

١٣ — التفريق :

ومعناه : « إيقاع تباين بين أمرين من نوع واحد فى المدح أو غيره » وقد مثل له بأبيات شعرية .

---

(١) المصدر السابق ٤ / ٢٩

(٢) تحرير التحبير / ٢٧٥ والبديع لابن منقذ / ٨٢ .

(٣) الايضاح ٣٤/٤ .

١٤ — التقسيم :

وهذا اللون معروف عند الجاحظ وقدامة وأبى هلال وابن رشيق وابن سنان وعبد القاهر .

١٥ — الجمع مع التفريق :

وهو أن يدخل شيآن فى معنى واحد ، ويفرق بين جهتى الإدخال ، وذكر له أمثلة قرآنية وشعرية .

١٦ — الجمع مع التقسيم :

وقد تحدث عنه عبد القاهر فى « الدلائل » كما سبق ، وتابعه السكاكى والخطيب .

١٧ — الجمع مع التفريق والتقسيم :

ذكر أمثلة لهذا النوع من القرآن الكريم ، ومن الشعر ، ثم أورد حالتين لهذا النوع .

١٨ — التجريد :

عرفه ثم ذكر له سبعة أنواع[1] ، وهو مسبوق إليه بابن جنى وعبد القاهر كما أسلفت .

١٩ — المبالغة المقبولة :

هى معروفة عند المتقدمين كما سبق ، ولكن الخطيب عرفها وقسمها إلى التبليغ والإغراق والغلو .

٢٠ — المذهب الكلامى :

« وهو أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق أهل الكلام » وقد مثل له من القرآن الكريم والشعر .

---

(١) الإيضاح ٤/٤٤

٢١ — حسن التعليل : تأثر الخطيب في هـذا النوع بعبد القاهر في « الأسرار » فقسمه إلى أربعة أقسام ، وذكر ما يلحق به .

٢٢ — التفريع :

عرفه بقوله : « أن يثبت لمتعلق أمر حكم بعد إثباته لمتعلق له آخر » وذكر له مثالا من الشعر .

٢٣ — تأكيد المدح بما يشبه الذم :

ذكره ابن المعتز بهذا الاسم ، وهو « الاستثناء » عند أبي هلال وابن رشيق ، وهو عند الخطيب ثلاثة أضرب . وقد مثل لها ، ثم ذكر أن الاستدراك في هذا الباب يجرى مجرى الاستثناء .

٢٤ — تأكيد الذم بما يشبه المدح :

ذكر له ضربين ، ومثل لكل منهما وهذا النوع لم يذكره السكاكي في المفتاح .

٢٥ — الاستتباع :

« وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر »[١] وقد ذكره السكاكي .

٢٦ — الإدماج :

عرفه بقوله : « هو أن يضمن كلام سيق لمعنى معنى آخر » فهو أعم من الاستتباع .

٢٧ — التوجيه : وهو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين كالمدح والذم ، وهو مسبوق إليه بالسكاكي .

---

(١) المصدر السابق ٤/ ٦١ .

٢٨ — الهزل الذى يراد به الجد : وقد مثل له ببيتين من الشعر ، وهو معروف عند الجاحظ وابن المعتز .

٢٩ — تجاهل العارف :

ذكره ابن المعتز وأبو هلال ، وسماه السكاكى « سوق المعلوم مساق غيره » لنكتة بلاغية .

٣٠ — القول بالموجب .

وهو مسبوق إليه بابن أبي الإصبع[1] ، ولم يذكر السكاكى هذا النوع فيما ذكره من البديع .

٣١ — الاطراد :

وهو أن يأتى بأسماء الممدوح أو غيره وآبائه على ترتيب الولادة من غير تكلف فى السبك ، وقد أخذ هذا النوع عن ابن رشيق فى العمدة ، ومثل له بحديث شريف وبيتين من الشعر ، هـذه هى المحسنات البديعية المعنوية عند الخطيب القزوينى فى « التلخيص والإيضاح » .

البديع اللفظى :

ذكر الخطيب من القسم الذى يرجع الحسن فيه إلى اللفظ سبعة أنواع هى :

١ — الجناس :

وهو تشابه الكلمتين فى اللفظ مع الاختلاف فى المعنى ، وقد فصل القول فى أقسامه .

٢ — رد العجز على الصدر : وهو مسبوق إليه بابن المعتز وأبى هلال وابن رشيق والسكاكى .

---

(١) تحرير التحبير/٥٩٩

٣ — السجع :

عرفه بقوله : « وهو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد ، وهو مطرف ومتواز وترصيع »[١] .

٤ — الموازنة والمماثلة :

الموازنة هي أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقفية كقوله تعالى : « ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة » . فإن كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن خص باسم المماثلة كقوله تعالى : « وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم » .

٥ — القلب :

مثل له بقولهم : « أرض خضراء » وفي التنزيل : « كل في فلك » وفيه « وربك فكبر » .

٦ — التشريع : وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى على الوقوف على كل واحدة منهما .

٧ — لزوم ما لا يلزم :

وهو ما أطلق عليه ابن المعتز « إعنات الشاعر نفسه في القوافي » ومعناه : أن يجيء قبل حرف الروي أو ما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في مذهب السجع . كقوله تعالى : « فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر » وهو ضرب من السجع ، وإن وقع في الشعر .

وبعد أن انتهى الخطيب من عرض المحسنات اللفظية قال : « وأصل الحسن في ذلك كله هو أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني . فإن المعاني إذا

---

(١) الإيضاح ٤ / ٩٢

أرسلت على سجيتها، وتركت وما تريد طلبت لأنفسها الألفاظ. ولم تكتس إلا ما يليق بها، فإن كان خلاف ذلك كان كما قال أبو الطيب :

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها
وأعضائها فالحسن عنك مغيب»[1]

• • •

أما خاتمة «الإيضاح» فقد تحدث فيها الخطيب عن السرقات الشعرية وما يتصل بها، وعن مواضع التأنق فى الكلام، وصنيعه يؤذن بأن هذه الأمور خارجة عن البديع ، مع أنه قد ذكر فى هذه الخاتمة كثيراً مما يدخل فى نطاق البديع عند المتقدمين .

فقد تحدث فيما يتصل بالسرقات الشعرية عن الاقتباس والتضمين ، وفرق بينهما فجعل الأول خاصاً بتضمين الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه .

وجعل الثانى وهو التضمين خاصاً بتضمين الشعر شيئا من شعر الغير مع التنبيه عليه .

وقد سبقت الإشارة إلى أن الاقتباس من وجوه البديع التى أوردها الجاحظ، وسماه ابن المعتز «حسن التضمين» ولكن العلماء خصوا الاقتباس بالقرآن، والتضمين بالشعر، وهذا هو رأى الخطيب فيهما غير أنه أخرجهما من البديع .

وفى مواضع التأنق فى الكلام تحدث الخطيب عن : حسن الابتداء وبراعة الاستهلال ، وحسن التخلص ، وحسن الانتهاء ، وبراعة المقطع[2] وكل ذلك خارج عن نطاق البديع عند الخطيب .

---

(١) الإيضاح ١٠٤/٤

(٢) المصدر السابق ١٤٨/٤ — ١٥٨

ولا أدرى السر فى ذلك !! فابن المعتز قد ذكر « حسن الابتداء » ضمن محاسن الكلام ، وكذلك حسن التخلص ، وسماه (حسن الخروج) وكذلك ثعلب فى « قواعد الشعر » ، وابن سنان فى « سر الفصاحة » تحت اسم « صحة النسق والنظم » .

ولعل الخطيب قد فعل ذلك متابعة لأبى هلال العسكرى ، فهو لم يذكر المبادى والمقاطع ضمن وجوه البديــع ، بل ذكرها فى فصل مستقل بعد انتهائه من فنون البديع .

وقد استدرك الخطيب على السكاكى . فذكر ألواناً من البديــع لم يذكرها السكاكى وهى :

الاستطراد — الإرصاد — العكس والتبديل — حسن التعليل — المذهب الكلامى — التجريد — المبالغة — الاستخدام — الرجوع — تأكيد الذم بما يشبه المدح — الإدماج — الهزل الذى يراد به الجد — القول بالموجب — الاطراد — الموازنة — التشريع — لزوم ما لا يلزم.

فهذه سبعة عشر نوعا تغاضى عنها السكاكى ، وهى مذكورة فى كتب السابقين : كالبديع لابن المعتز والصناعتين لأبى هلال ونقد الشعر لقدامة فذكرها الخطيب فى الإيضاح ، ومعنى ذلك أنه قد تأثر بكثير من السابقين فوق تأثره بالسكاكى ، نعم تأثر بالصناعتين لأبى هلال والعمدة لابن رشيق ، وأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى والبديع لابن أبى الإصبع والمثل السائر لابن الأثير .

وحسن التوسل إلى صناعة الترسل للشهاب الحلبى وغيرهم من البلاغيين ولذلك جاء كتابه جامعاً لأشتات هذه الكتب ، مع حسن الترتيب ، وتمام التحرير ، ودقة التبويب والتهذيب ، بالإضافة إلى ما فيه من مناقشات للسكاكى فى كثير من المواضع .

وعلى الرغم من أن الخطيب قد تابع السكاكى فى تقسيم البديع إلى : معنوى ولفظى ، وفى جعل البديع تابعاً لعلمى المعانى والبيان ، فصار ذيلا بعد أن كان أصلا ، وصار تحسينه عرضياً بعد أن كان ذاتياً ، إلا أن الخطيب قد هذب كثيراً من كلام السكاكى ، وكان أدنى إلى الضبط العلمى مما صنع السكاكى ، مع ذكر المصطلحات المتعددة للنوع الواحد .

فقد جعل الخطيب الطباق والمقابلة نوعاً واحداً يشمل السلب والإيجاب أيضا ، فالمقابلة داخلة فى الطباق ، بينما هى عند صاحب المفتاح نوع مستقل .

كما أن الخطيب لم يذكر الالتفات والاعتراض والإيجاز والإطناب فى وجوه البديع واكتفى بوضعها فى علم المعانى ، بينما ذكر السكاكى هذه الأربعة فى المعانى والبديع معا .

فإذا كان السكاكى يقصد من ذلك الإشارة إلى أن البديع جزء من البلاغة وأنه أصل من أصول المعانى ، فكيف جعله خارجا عن علمى المعانى والبيان ؟

وقد جعل السكاكى الترصيع نوعا مستقلا من البديع بينما أدخله الخطيب فى السجع حيث جعله ثلاثة أضرب: « مطرف ومتواز وترصيع » أما الاقتباس والتضمين فلم يذكرهما السكاكى أصلا ، بينما أخرجهما الخطيب من البديع فذكرهما فيما يتصل بالسرقات الشعرية ، وكذلك حسن الابتداء وبراعة الاستهلال وحسن التخلص وحسن الانتهاء وبراعة المقطع ، فهذه كلها خارجة عن البديع عند الخطيب ، وهى معدودة فيه عند المتقدمين كما ذكرت آنفاً ، لكنه التقنين العلمى ، والشغف بالتقسيم وإقامة الفواصل بين أقسام النوع الواحد ، وفض الاشتباك بينها هو الذى دفع المتأخرين إلى هذا التفريق .

وقد أحسن الخطيب الانتهاء حين ختم كتابه بقوله : « وجميع فواتح السور وخواتمها واردة على أحسن وجوه البلاغة وأكملها ، يظهر ذلك بالتأمل فيها مع التدبر لما تقدم من الأصول ، لأن فواتح السور تدور بين الحمد والثناء على الله بما هو أهله ، وذكر نعمه على عباده من هداية وتذكير بالحق وإرشاد إلى الخير ، وخواتيمها تدور بين أدعية ووصايا عامة ، ونحو ذلك مما يحسن الانتهاء به كقول تعالى : « وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين » .

* * *

خاتمـــة

هذه هى الصورة العامة التى انتهى إليها « البديع » عند المتأخرين ، والتى استقر عليها الدرس البلاغى فى دور العلم ومعاهده إلى الوقت الحاضر .

وبعـــد :

فهذه جولة مع مصطلح « البديع » وفنونه ، منذ أن كان طيفا يجول بخيال الشعراء حتى بدأ يزداد وينتشر فلفت الأنظار إليه ، وبدأ التأليف فيه ، وتكاثرت ألوانه شيئا فشيئا حتى وصلت إلى التسعين ، بل زادت إلى مائة وأربعين عند صفى الدين الحلى فى بديعيته المشهورة فى مدح النبى ﷺ وبذلك أصبح البديع صناعة يتحراها الأدباء ، ويهيم بها الشعراء ؛ ونستطيع من خلال هذا العرض أن نميز بين مرحلتين فى حياة « البديع » : الأولى كان المصطلح فيها عاما مرادفاً للبلاغة كما رأينا عند الأصمعى والجاحظ وابن المعتز وقدامة وأبى هلال وابن رشيق وعبد القاهر ، وقد عظم شأن البديع وارتقت مكانته عند عبد القاهر حيث ربطه بالنظم الذى هو معيار البلاغة ومقياس التفاضل بين الكلام وقرن المزاوجة والتقسيم بالتشبيه فى هذا الإطار ، فالبديع عنده مرادف للبلاغة ، وهو مقياس تقدر به الأعمال الأدبية عند النقاد .

أما عند السكاكى والخطيب ومن نسج على منوالهما فقد تقهقر « البديع » إلى المرتبة الثانية حيث صار فرعا من فروع ثلاثة آلت إليها البلاغة وهى « المعانى والبيان والبديع » فصار بمنزلة التابع من المتبوع ، لأن دوره يجىء بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة ، أى أنه أصبح تابعا ذليلا بعد أن كان أصلا كريما ، وصار تحسينه عرضيا بعد أن كان ذاتيا ، وهذه هى المرحلة الثانية للبديع ، فما أبعد المسافة بين الحالتين ، وما أوسع الفجوة بينهما حيث الأصالة والازدهار وعلو الشأن فى الأولى والتبعية والانحطاط والجمود فى الثانية .

والحمد لله أولا وآخرا ؟

المصادر والمراجع

١ ـ أسرار البلاغة / للإمام عبد القاهر الجرجانى / تحقيق الشيخ محمد رشيد رضا . ط المنار سنة ١٣٧٩ هـ .

٢ ـ إعجاز القرآن / للقاضى الباقلانى / تحقيق السيد صقر ط دار المعارف بمصر .

٣ ـ الأغانى / لأبى الفرج الأصفهانى / ط بولاق سنة ١٢٨٥هـ ١٣٠٥م .

٤ ـ الإيضاح / للخطيب القزوينى / تحقيق عبد المتعال الصعيدى ط الآداب بالجاميز .

٥ ـ البديع / لابن المعتز / تحقيق كراتشكوفسكى ط دار المسـيرة بيروت . ط ثالثة .

٦ ـ البديع فى نقد الشعر / لأسامة بن منقذ / ط مصطفى البابى الحلبى بمصر .

٧ ـ بغية الإيضاح / للشيخ عبد المتعال الصعيدى / ط الآداب بالجاميز بمصر .

٨ ـ بغية الوعاة / للسيوطى / ط السعادة سنة ١٣٤٩ هـ .

٩ ـ البيان والتبيين / للجاحظ / تحقيق عبد السلام هرون ط الخانجى بمصر .

١٠ ـ تأويل مشكل القرآن / لابن قتيبة / تحقيق السيد صقر ط دار التراث ـ القاهرة .

١١ ـ تحرير التحبير / لابن أبى الإصبع / تحقيق حفنى شرف / ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

١٢ ـ ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن / تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ط دار المعارف .

١٣ — جواهر الألفاظ / لقدامة بن جعفر / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط الخانجي بمصر .

١٤ — الحجة فى علل القراءات السبع / لأبي على الفارسي / ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٤٠٣ ه .

١٥ — الحروف / لابن السكيت / الخانجي بالقاهرة .

١٦ — الحيوان / لأبي عثمان الجاحظ / مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة .

١٧ — الخصائص / لابن جنى / ط الهيئة المصرية للكتاب بمصر .

١٨ — دلائل الإعجاز / لعبد القاهر الجرجاني / تحقيق محمود شاكر ط الخانجي بمصر .

١٩ — ذيل كتاب الأمالي والنوادر / لأبي على القــالى / ط دار الكتب المصرية :

٢٠ — رغبة الآمل من كتاب الكامل / للشيخ المرصفي / ط الجمالية سنة ١٣٣٢ ه .

٢١ — سر الفصاحة/لابن سنان الخفاجي /تحقيق عبد المتعال الصعيدي ط صبيح بمصر .

٢٢ — شرح أشعار الهذليين / للحسن السكرى / تحقيق عبد الستار فراج / ط المدنى بالقاهرة .

٢١ — الشعر والشعراء / لابن قتيبة / ط دار التراث العربي بمصر .

٢٤ — الصبغ البديعي / د . أحمد موسى / ط وزارة الثقافة المصرية سنة ١٣٨٨ ه .

٢٥ — الصناعتين / لأبي هلال العسكرى / ط دار الفكر العربي بالقاهرة .

٢٦ — الطراز / ليحيي العلوى / ط دار الكتب العلمية - بيروت .

٢٧ — عبد القاهر الجرجاني والبلاغة العربية / د . أحمد أحمد بدوى ط وزارة الثقافة المصرية .

٢٨ — العقد الفريد / لابن عبد ربه / ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر سنة ١٩٤٠ م .

٢٩ — العمدة / لابن رشيق / تحقيق محي الدين عبد الحميد / ط بيروت .

٣٠ — العين / للخليل بن أحمد / ط مؤسسة الأعلمي — بيروت .

٣١ — فحولة الشعراء / للأصمعي / المنيرية بالأزهر .

٣٢ — الفنون البلاغية في بيان أبي عثمان / د . علي العماري / بحث منشور بمجلة أم القرى بمكة المكرمة .

٣٣ — قدامة بن جعفر والنقد الأدبي / د . بدوى طبانة / الأنجلو المصرية - الثانية .

٣٤ — قواعد الشعر / لثعلب / ط مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة .

٣٥ — الكامل / لأبي العباس المبرد / ط مصطفى الحلبي سنة ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧ م

٣٦ — الكتاب / لسيبويه / تحقيق عبد السلام هارون - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣٧ — كشاف اصطلاحات الفنون / للتهانوى / ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣٨ — كشف الظنون / لحاجي خليفة / استنبول سنة ١٣١٠ هـ الأولى .

٣٩ — لسان العرب / لابن منظور / ط دار المعارف بمصر .

٤٠ — المثل السائر / لابن الأثير / ط نهضة مصر بالقاهرة .

٤١ — مجاز القرآن / لأبي عبيدة / تحقيق فؤاد سزكين / ط الخانجي بالقاهرة .

٤٢ — المحتسب / لابن جنى / ط دار سوكين سنة ١٤٠٦ هـ .

٤٣ — مصطلحات بيانية / د . إبراهيم عبد الحميد التلب / ط مطبعة الحسين خلف الأزهر ١٩٩٨ م .

٤٤ — مصطلح التجريد / د نزيه عبد الحميد فراج / ط دار الفتح للإعلام العربي بالقاهرة .

٤٥ — معانى القرآن / للفراء / ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٤٦ — معاهد التنصيص / للعباسى / ط عالم الكتب — بيروت .

٤٧ — معجم الأدباء / لياقوت الحموى / ط دار الغرب الإسلامى بيروت سنة ١٩٩٣ م .

٤٨ — مفتاح العلوم / للسكاكى / ط مصطفى البابى الحلبى بالقاهرة .

٤٩ — المفضليات / للمفضل الضبى / ط دار المعارف بمصر .

٥٠ — الموازنة / للآمدى / تحقيق السيد صقر / ط دار المعارف .

٥١ — الموشح / للمرزبانى / ط دار الكتب العلمية — بيروت .

٥٢ — النقائض بين جرير والفرزدق / لأبى عبيدة / ط ليدن سنة ١٩٠٥ م .

٥٣ — نقد الشعر / لقدامة / ط مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٣٩٩ هـ .

٥٤ — الوساطة / للقاضى الجرجانى / ط عيسى البابى الحلبى بالقاهرة .

تم بحمد الله تعالى

القاهرة ٢٥ يناير سنة ١٩٩٩ م

د . إبراهيم عبد الحميد السيد التلب
الأستاذ المساعد بقسم البلاغة والنقد
بكلية اللغة العربية بالقاهرة

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

تم بحمد الله تعالى